عروسة في المزاد

مجموعة قصصية

الطبعة: الأولى.

الكتاب: عروسة في المزاد.

الكاتب: أنيس رياض لطف اللّه.

تصميم الغلاف: محمد مجاهد.

تدقيق لغوي: أحمد شعبان.

إخراج فني: محمود ربيع.

رقم الإيداع: 2019/23755.

الترقيم الدولي: 978-977-6689-37-4.

9 شارع المغفرة المتفرع من شارع العشرين بجوار مدارس حسام الدين

الخاصة- فيصل- الجيزة

موبايل: 01009823984- 01126026691- 01061813345

جميع الحقوق محفوظة

عروسة في المزاد

مجموعة قصصية

أنيس رياض لطف الله

الإهداء

إلى روحها الطاهرة أهدي هذه المجموعة القصصية، التي لمست يداها الكريمتان مسودات بعضها، واشتركت في نسخها..

ونطلب لها نياحًا في فردوس النعيم مع القديسين الأبرار، كما نطلب منها أن تصلي من أجلنا، وأن تَذْكُرنا أمام عرش النعمة.

وإلى اللقاء..

أنيس

ظل رَجُل!

(١)

أشرفت على عامها الأربعين. رحل الأب. ورحلت الأم، وتزوج جميع الإخوة والأخوات، وأنجبوا «صبيان وبنات».

ولم يبق في البيت الكبير إلا هي وحيدة مع نفسها..

تشغل وظيفة محترمة بإحدى شركات الاستثمار بعد تخرجها في كلية التجارة.

تنفق ببذخ على أولاد وبنات إخوتها وأخواتها، ولم تبخل عليهم بشيء، ولم تعمل حسابًا للزمن..

وهي على اتصال دائم بأهلها، ولا يمر يوم دون مقابلتهم أو الاتصال بهم هاتفيًا.

تَقَدّم لخطبتها زميل بنفس الشركة بدرجة مدير عام، ولكن هناك فارقًا كبيرًا في السن، أما من حيث الخُلق والطباع فهي فتاة رقيقة مهندمة محبوبة لدى جميع الزملاء والزميلات، أما هو فعلى

النقيض تمامًا.

رفضته بشدة ولن تفصح لأحد عن السبب من وجهة نظرها، مع أنها وهي في هذه السن لا بد أن تُقدم بعض التنازلات.

نعم رفضته بشدة كما رفضت الكثيرين من قبله رغم تمتع بعضهم بمزايا غير متوفرة فيه.

راح يتقرّب منها ويتودّد إليها بشتى الطرق، ولكن دون جدوى أو أدنى استجابةٍ منها، وعندما فشلت جميع محاولاته قرر أن يفاجئها بالزيارة بمنزلها حتي تكون هناك فرصة أكبر للتفاهم والمصارحة والتعبير عن شعوره نحوها.

وبعد أن توصّل إلى العنوان، توجّه إلى منزلها ذات مساء، وفي ساعة متأخرة من الليل..

دق جرس الباب وفتحت الشُّرّاعة، فوجدته أمامها ولم تعرف كيف تتصرّف ودون أدنى تفكير فتحت له الباب.

الحق أن المفاجأة أذهلتها، الساعة قاربت على منتصف الليل، وكيف تسمح لنفسها بمقابلة هذا الشخص بالذات في منزلها وهي بمفردها!.

كاد وجهه يلامس وجهها فابتعدت عنه نحو الداخل، فلحقها

دون استئذان..

فازداد خوفها، ولكنها أفاقت إلى نفسها ولجأت إلى استخدام العقل للخروج من هذا المأزق.

(٢)

ألقى بجسده البدين المترهل على أول مقعد بالصالة الكبيرة الفخمة.. اكتشفت أنه مخمور لدرجة الثمالة.. وكان الشرر يتطاير من عينيه الحمراوين.. كما اكتشفت أنها مازالت بقميص النوم.. يا له من كابوسٍ ملعون.. تركتهُ ومرقت إلى غرفة النوم، ارتدت «روب» لتخفي به مفاتنها..

سألته بابتسامة مصطنعة عما أتى به إليها في هذه الساعة، فأجابها بمنتهى الوقاحة:

- هفِّني المزاج يا ست هانم!

وبدأ خوفها يتضاعف منه.. ولكنها كانت تداري خوفها.

أشعل سيجارة وشرع يدخّن بشراهة أثارت اشمئزازها وسخطها.. ضاق صدرها عندما ازدحمت الصالة بسحب الدخان، ففتحت باب الشقة على مصراعيه متعللة بخروج الدخان، وتمنّت لو تطرده هو الآخر خارجًا..

الحق أنه عندما شَعر بضيقها الشديد لوجوده، وأن الوقت

غير مناسب للحديث، بالإضافة إلى أنه لا يستطيع التركيز نَهَض واقفًا بدون مقدمات وبادر بالانصراف متمنيًا لها نومًا هادئًا وأحلامًا سعيدة!

تنفّست الصعداء وهي تشيعه بنظرات مُتَفَرِّسَةٍ طالبةً منه عدم تكرار مثل هذه الزيارة المشبوهة، وإلا استدعت له البوليس!

فغادرها ولم ينطق بحرفٍ واحد.. وكان طبيعيًا أن يفارقها النوم في هذه الليلة.

وعادت بها الذاكرة إلى الأيام الخالية.. أيام أن كانت فتاة صغيرة وجميلة ويتهافت عليها العرسان، ويتسابقون للوصول إلى قلبها، وكانت ترفضهم لأتفه الأسباب؛ هذا طويل، وهذا قصير، وذاك نحيف، وذاك بدين، هذا من أسرة فقيرة، وهذا مستواه الاجتماعي لا يليق..

وها هو القدر يسخر منها أخيرًا ويبعث لها بهذا السكِّير التافه!

لعنت الزمن ألف مرة! وراحت تندم وتندم وتنعي حظها العاثر.

(٣)

استدعاها في صباح اليوم التالي فلم يجدها بمكتبها، وعَلِم أنها لم تحضر هذا اليوم، ولما أرادت الزميلات الاطمئنان عليها حيث إنها غابت بدون سابق إنذار، وهذه ليست عادتها، اتصلن بها هاتفيًا وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا فوجدنها نائمة كما اتضح من صوتها عندما ردّت عليهن، فسألتها زميلتها إيمان:

- إيه الحكاية يا مها؟! إنت لسة نايمة؟؟.. صحّي النوم.

فأجابتها قائلة:

- راحت عليّا نومة، مجاليش نوم طول الليل.

ولما استفسرت إيمان عن السبب، أجابت بأنها سوف تحكي لها بالتفصيل غدًا ما حدث لها البارحة وأدى إلى غيابها عن العمل هذا اليوم.

وتبادلتا التحية ووضعت السماعة، وحاولت أن تعاود نومها، ولكن هيهات.. فقد كان الأرق أقوى منها.

ولم تستطع إيمان الصبر حتى اليوم التالي دون الاطمئنان عليها، فتوجهت إليها فور الانصراف من العمل، وكانت مفاجأة جميلة بالنسبة لمها التي فرحت بها كثيرًا، وكانت في منتهى السعادة، واستضافتها أحسن استضافة بعد تبادل القبلات.

وراحت مها تقص عليها بالتفصيل الممل كل ما حدث في ليلة البارحة، وكانت إيمان تستمع إليها بكل دهشة وذهول.. هل كل هذا يحدث من محسن، وفي منتصف الليل؟!.. حقًا إنه مجنون!

ورن جرس الباب، وكان القادم هو محسن بعينه..

وكانت إيمان تهم بالانصراف حيث إنها قد تأخرت عن الأولاد، ولكن مها غمزت لها ألا تتركها حتى تعرف أخرتها مع هذا الرجل!

(٤)

وسط ذهولها ودهشة ايمان علل حضوره بالاطمئنان عليها نظرًا لغيابها عن العمل، ولكنه شك في معرفة إيمان بما حدث.

وبجرأة شديدة قطعت إيمان الصمت موجهةً الحديث إلى محسن قائلة بحدّة:

- ادخل في الموضوع على طول.. إنت عايز منها إيه بالظبط؟

فذُهل هو الآخر لدخول إيمان في الموضوع بهذه الجرأة، فأجابها بهدوء قاتل:

- يا ست بصراحة أنا طالب القرب منها. وإنتي إيه اللي مزعلك؟!

- واللي يطلب القرب يطلبه من العروسة نفسها؟!.

ثم استطردت بعصبية:

- هي ملهاش رجالة يا أستاذ محسن؟

- والله ما أعرف حد منهم.

- اسأل يا أخي، هي الحكاية سايبة!

وأتت مها من المطبخ حيث كانت تعد التحية، ورأت إيمان منفعلة جدًا أثناء الحديث مع محسن في موضوعها، واستطردت إيمان موجهة حديثها إلى مها:

- اتفضلي يا ستي، جاي يطلب القرب منك بسلامته، تصدقي؟! ، أنا في الحقيقة مكانش ليا إني أتدخل في هذا الموضوع، ولكن الظروف فرضت عليا ده.. إيه رأيك يا ستي موافقة؟.. عرسان أخر زمن!.

ولكن مها لم ترد بكلمة واحدة، أما عن محسن فقد هَمَّ بالانصراف بعد أن أخذ التحية طالبًا من مها أن تُحدّد له موعدًا للزيارة القادمة في حضور من يهمهم أمرها، ولكنها طلبت منه إرجاء هذه الزيارة إلى أن تفكر هي أولًا في هذا الأمر..

ولقي هذا الرد استحسانًا من إيمان، ولكن هل هي جادة وتطلب مهلة للتفكير فعلًا؟

(٥)

طار الخبر إلى الشركة بسرعة الصاروخ، في اليوم التالي أخذ الزملاء والزميلات يتهامسون، وكانت هي في منتهى الحرج منهم، فهل هي جادة في التفكير فعلًا؟

الحق أن إخوتها وأخواتها، وكل من يهمه الأمر يؤيدون زواجها من هذا الشخص أو من غيره، حيث إن فُرص زواجها بدأت في الاضمحلال، أما عواجيز العائلة فكانوا يقولون لها:

- وماله يا بنتي مهو راجل ملو هدومه أهو.. وعلى رأي المثل (ضل راجل ولا ضل حيطة).

وكان الجميع يطاردونها بمثل هذه الأقوال البالية، ولكن لماذا يتدخلون في حياتها الخاصة؟.. فهل هي عالة على أحد منهم؟.. بالعكس فهي مجاملة جدًا وخيرها عليهم، ولا يفوتها واجب.

وسألت نفسها: لماذا لا تفكر في هذا الأمر جدية؟ احتمال الرجل بعد الزواج يعقل عندما تستقر حياته الاجتماعية ويصبح مسئولاً عن أسرة.

وفي المساء رن جرس التليفون في منزلها، وكان شقيقها الأكبر.. ربما تكون مكالمة عادية مثل أية مرة.

ولكنها في هذا المساء لم تكن مكالمة عادية.

- ألو.. مها.. مساء الخير.. عاملة إيه؟
- الحمد لله، كله تمام.
- مال صوتك متغير كدة؟
- أبدًا مفيش.
- شوفي يا ستي فيه خبر سعيد.. مفاجأة سارة.
- خير إن شاء الله؟.

ثم استطرد بضحكة عالية هزت أسلاك الهاتف:

- عريس.

فقالت متجاهلة:

- عريس؟.. معقول؟.. (قال بعد ما شاب ودوه الكُتَّاب).

ولما كان الأخ الأكبر من مؤيدي زواجها بأي شكل، قال وكأنه يهوِّن عليها المفاجأة:

- وفيها إيه يا مها؟.. هو الزواج عيب؟! الزواج نصف الدين يا بنتي، وإنتي ليه تقضى حياتك وحيدة؟ ومين يعرف الظروف؟

وبعد تنهيدة طويلة قالت:

- وإنت تعرفه كويس؟

- والله هو بيقول إنه زميلك في الشغل واسمه محسن المصري، وطبعًا إنتي عارفة الباقي.

ثم ضحك ضحكته المميزة، ثم سألها مرة ثانية:

- وإنتي إيه رأيك يا ست الكل؟

فتلعثمت قليلًا، ثم أجابت:

- والله يا شوقي يا أخويا هو لمح ليا بذلك في حضور زميلة ليا، وأنا رفضت، أو بمعنى أصح طلبت منه مهلة للتفكير.

لم تحاول أن تشوه صورته أمام أخيها حتى لا يرفضه بالمرة وتخسر أخر فرصة أمامها..

ورنت في أذنيها كلمات الأقارب (وماله يا أختي مهو راجل ملو هدومه وعلى رأي المثل ضل راجل ولا ضل حيطة).

وبعد هنيهة صمت قال لها شوقي:

- خلينا ناخد فرصة أكتر.. عمومًا هو هيطلبني الليلة عشان ياخد مني رد وأنا شايفك لسة مترددة.

- مفيش مانع يدينا مهلة يوم أو اتنين.

وبعد يومين بالضبط حضر أهل العريس لتحديد موعد الخطوبة، ورنت الزغاريد في أرجاء الشقة.

وربنا يتمم بخير..

سوق البنات!

(١)

كعادته اليومية استيقظ الأستاذ «مندور» من نومه عند الفجر، فرك عينيه براحتيه ثم تثاءب.. شد الغطاء على زوجته النائمة بجواره، والتي راحت تغط في نوم عميق.

نهض ليتوضأ ويصلي..

عدّ قهوته بنفسه على موقد (السبرتو)، وصبَّها في فنجانه الأثري، الذي كان قد ابتاعه من خان الخليلي منذ أيام الشباب..

جلس جلسته المفضَّلة على أريكة بلدي تتوسط الصالة، وراح يرتشف القهوة من فنجانه، ويتفكَّر في الكون جليًا وهو يداعب حبات مسبحته الكهرمانية الصفراء (رُزق من البنات خمسًا، ولم ينجب ولدًا واحدًا يحمل اسمه، ويحمله عند اللزوم!) .. أمر الله، وله في ذلك حِكم.. لا أحد يعرف أين الصالح.

ربما رُزق بولد فاشل أو معاق يكرهه في عيشته.. ولكن الله

قدّر ولطف.

الصبيان في هذا الزمن مشكلاتهم كثيرة، وربما أكثر من مشكلات البنات.

خمس بنات كبراهن في الدبلوم الفني، وبين الواحدة والأخرى سنة أو اثنتان على الأكثر.

الصحة كانت مساعدة، والأمل في وجه الله كان كبيرًا، ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد.

احتياجات البنات كثيرة والمعاش ضئيل، أربعون سنة خدمة في الحكومة والمعاش لا يتجاوز ثلاثمائة جنيه شهريًا.

تزوج في سن متأخرة، وكانت النتيجة أنه شاخ قبل أن يستّر بناته.

ربنا يتولاهن ويتولانا برحمته الواسعة.

أوشكت الإجازة الصيفية على الانتهاء، واقترب موعد دخول المدارس و(وجع الدماغ).

كل بنت تلزمها ملابس ومصروفات، ولوازم مدرسية، ودروس خصوصية ومواصلات، (والله لولا ستر ربنا وحكمة الولية لكنا رُحنا بلاش!).

وهو لم يعمل حسابًا لهذا اليوم أو لغيره، وأي حساب؟!.. «القرشين معدودين»، وعلى رأي المثل (عد غنمك يا جحا).

نظر في ساعة الحائط المعلقة أمامه، فوجد الساعة تشير إلى السابعة، فارتدى «روبه» اليتيم الذي أكل عليه الدهر وشرب، ولم ينس أن يأخذ مفتاح الشقة في جيبه وحافظة نقوده، وانصرف لإحضار فول الإفطار وجريدة الأهرام التي أدمن مطالعتها.

(٢)

وجد الشارع يعج بالمارة والباعة والموظفين ووسائل المواصلات المختلفة، فتذكَّر «أيام زمان»، توقَّف أولًا أمام عم محروس بائع الجرائد والتقط جريدته بنهم، وأخذ يقرأ العناوين الرئيسية، طواها تحت إبطه، وواصل المسير..

وما هي إلا دقائق ووجد نفسه أمام محل فول وفلافل عم جمعة، وكان يعمل به شاب جامعي وسيم، كثيرًا ما كان يتودد إلى الأستاذ «مندور»، ويحاول أن يتقرَّب منه (خريج جامعة ويعمل في محل فول وطعمية؟!).

وفي طريق العودة ألقى تحية الصباح على البقَّال والعجلاتي والفطاطري وغيرهم.

والحق أن الجميع كانوا يحترمونه ويبتسمون في وجهه..

وما إن صعد السلم ودخل الشقة حتى رشق نظارته الطبية في أذنيه، وأدار مفتاح التليفزيون، وشرع في مشاهدة برنامج (صباح الخير يا مصر) حتي تستيقظ حرمه المصون من نومها العميق.

وقبل أن يعتدل في جلسته المفضَّلة، رن جرس الباب وكانت الحاجة «أم حسين» جارتهم بالعمارة المقابلة وصاحبتها.

تمتم في نفسه قائلًا: (خير إن شاء الله.. اللهم اجعله خير يا رب.. ده إحنا لسة بنقول يا فتَّاح يا عليم).

ولكن ابتسامة الحاجة أم حسين صرفت عنه الخوف، وأدخلت السرور إلى قلبه، وفي الحال نهضت زوجته وراحت تسوي ما بعثرته البنات بالصالة قائلة بفرح عظيم (اتفضلي يا أختي)، واستقبلتها أحسن استقبال.

وبعد دقائق استطردت قائلة:

- يا ألف مرحب يا أختي شقة غريبة.
- ما غريب إلا الشيطان يا ست حسنية.. ده إحنا إخوات ربنا يديم المعروف يا أختي.

وأعدّ لها الأستاذ مندور القهوة بنفسه، وأثناء الحديث مالت عليها الحاجة أم حسين وهمست:

- خير يا أختي طبعًا.. عريس.

وضحكت بفرحة غامرة، ولكن الست حسنية ذُهلت، وتسمّر الرجل في مكانه.

- عريس؟!

- طبعًا يا أختي عريس.. لاسم الله عليها (سُمية).. بسم الله ما شاء الله عليها.. هي صغيرة ولا صغيرة؟!

ولكن أم سُمية راحت تدعك كفيها حتى جرى الدم منهما، ولم تستطع الرد عليها، كما أن الرجل لم ينطق ببنت شفة.

- قلتي إيه يا أختي؟

- قُلت عريس زي الفل وشاطر، وصغير صلاة النبي أحسن، ومعاه شهادته وعنده ورشته.. سمكري سيارات أد الدنيا.. «حمادة» ابني وجاهز من مجاميعه.. أصله يا ضنايا يا ابني شاف اسم الله عليها إمبارح وهي داخلة البيت.. وهو طبعًا عينه منها من الأول، قال يا أمي يا أبويا ما تفوتني البنت دي أبدًا.. وسألني عنها، وطبعًا قولتله يا زين ما هتاخد.. ودي الحقيقة يا أختي (أصل وجمال وأدب وحسب ونسب)، والنبي ما تعرفي معزتكم عندنا أد إيه.

وبعد فترة من الصمت.. استطردت متسائلة بإلحاح:

- قولتوا إيه يا أختي عشان ألحق أبشَّر الواد قبل ما ينزل؟؟

فأجاب الرجل متأففًا، وعلامات الضيق واضحة عليه:

- حاضر يا حاجة، بس إدينا فرصة لما نتشاور، وحتى نشوف رأي البنت إيه.

وكان الرجل على وشك النطق بالرفض، لولا أن الزوجة لكزته بكوعها طالبةً منه الانتظار وعدم التسُّرع في الرد، أما عن الحاجة أم حسين.. ففزَّت واقفةً كمن لدغها عقرب قائلة:

- أوي أوي يا أخويا.. معاك بدل اليوم تلاتة واتشاوروا براحتكم.. وكل طلباتكم مجابة.. ماتحملوش هم أي حاجة خالص.. الولد حالته ميسورة والحمد لله.. والبنت تستاهل الدنيا بحالها.. والشاري مايبيعش يا ست أم سُمية.. فُتكم بعافية..

وانصرفت..

(٣)

بعد انصراف الحاجة أم حسين مباشرةً، حدثت مشادة كلامية بين الرجل وزوجته، فهو يعارض بشدة فكرة الزواج حاليًا لأي بنت من البنات، وذلك لسوء الحالة المالية، ولا داعي للاستعجال والدخول في مثل هذه المتاهات من الآن، خاصةً وأن كرامته لا تسمح بعدم القيام بالواجب لبناته وتجهيزهن (دول بنات الأستاذ مندور).

وإلى متى الانتظار يا أستاذ مندور، هل هناك كنز أو ورث يستدعي الانتظار.. الست قالت الولد مستعد وجاهز، وخير البر عاجله.

وعلى أثر الضجيج كانت البنت قد استيقظت من نومها، وراحت تتنصت عليهما حتى وقفت على موضوع الحديث، وعرفت من هو العريس المرتقب، وهي تعرف حمادة جيدًا، وكثيرًا ما كان يغازلها في «الرايحة والجاية».

فورشته على ناصية الشارع بجوار مقهى الحرية، والحق أن

البنت فرحت جدًا بهذا الخبر، فالولد مؤدب ومتعلم وذوق، بالإضافة إلى أنه (كَسِّيب)، والسيارات «مترصصة قدام» ورشته، وغيره من الشباب أقرانه وزملائه مازالوا يتسكعون في الشوارع بحثًا عن عمل.

وطلبت البنت من الله أن يكون هذا العريس من نصيبها..

وأخيرًا وبعد اقتناع وافق الأستاذ مندور وطلب من زوجته أن تأخذ رأي البنت، خاصةً بعد أن وعدته الزوجة بأنها سوف تطلب (قرشين سلف) من إخواتها لتجهيز البنت، وهم جميعًا- بسم الله ما شاء الله- في حالة ميسورة و(ما يصدقوا أطلب منهم أي حاجة، وخاصةً في ظروف زي دي، بس إنت اتنازل شوية عن كرامتك اللي هتوقَّف حال البنات.. دي البنات يا أخويا ليها سوق!).

وفي التو توجَّهت إلى غرفة نوم البنات ووقع بصرها على «سُمية» التي تظاهرت بالنوم بعد أن عرفت كل شيء، لكنها كانت مفتوحة العينين وتنظر إلى سقف الحجرة، فبادرتها الأم بقولها:

- تعالي يا سُمية كلمي أبوكي.

- خير يا أمي؟؟ اللهم أجعله خير.

وبسرعة البرق كانت جالسة بجوار والدها على الأريكة، متجاهلة كل شيء.

فقال الأب:

- صباح الخير يا سُمية.. ندخل في الموضوع على طول من غير لف ولا دوران.

- أي موضوع يا بابا خير؟!

- يا بنتي بقى على بابا الكلام ده؟!.. يعني أنت مش عارفة؟

فابتسمت بينما كانت الأم واقفة على نار لتسمع رأيها في الولد.

واستطرد الأب قائلاً:

- قُصر الكلام.. موافقة ولا لأ؟

فابتسمت البنت للمرة الثانية قائلة:

- على إيه يا بابا؟

فكرر ما قاله سابقًا، فأجابت:

- مش حضرتك وماما موافقين؟

- من جهة الموافقة، إحنا يهمنا رأيك إنتي أولًا وأخيرًا.. إنتي

اللي هتعيشي معاه.. وعلى كل حال إحنا نشوف الولد ونسأل عليه ونختبره قبل ما نتفق على أي حاجة.

- خلاص يا بابا اللي تشوفه.

وفي المساء كان أهل العريس قد حضروا للاتفاق، وفي أرجاء الشقة كانت ترن زغاريد أم سُمية والحاجة أم حسين.

وفي ركن أقصى رمق الأستاذ مندور سيدة بدينة تهمس في أذن الحاجة أم حسين، ولكنه لم يعلِّق، واعتبر نفسه لم ير شيئًا..

وبعد الاتفاق وقراءة الفاتحة، وقبل انتهاء الزيارة، بعد الأكل والشرب (والذي منه)، واستعداد الضيوف للانصراف، انتحت الحاجة أم حسين بأم سُمية جانبًا، وأعطتها الأخيرة أذنها قائلةً:

- خير يا أختي تحت أمرك؟.

فهمست لها أم حسين قائلةً:

- عايزين البنت التانية، عريس زي الفل، وأحسن من حمادة كمان.

وما كان من أم سُمية ودون أن تدري إلا أن أطلقت لحنجرتها العنان وفتحت في الزغاريد، وكان ذلك أبلغ من أي رد!..

فاقد الذاكرة.. يتذكَّر!!

فقد ذاكرته وهويَّته واسمه!!

اتخذ لنفسه محلًا للإقامة في أطراف المدينة بالقرب من مساكن المهندسين، وهو عبارة عن عشة من الخشب والصفيح، تتوسطها من الجهة البحرية نافذة صغيرة تطل على المزارع في نهاية العمارات، وتحتوي على أدوات معينة بدائية كأنها من العصر الحجري!

كان الصبيان والبنات من أهل الحي والأحياء المجاورة في بداية معرفتهم به يهابونه ويخافونه، ويرتعدون بمجرد رؤيته!

عملاق.. طويل.. عريض.. أطلق العنان للحيته وشعره وشاربه الذي يقف عليه صقر!

أصفر الوجه ذابل السحنة.. تائه النظرات، جاحظ العينين اللتين غالبًا ما تكونا حمراوين، ولا تركزان على شيء!

أما جلبابه فقد تراهن الأولاد على تحديد لونه الأصلي، فلم يفُز أحدهم بالرهان لكثرة الأوساخ المتراكمة عليه!

ومع مرور الأيام أحبه الأولاد وألفوه، وأصبحوا أصدقاء حميمين له.

ولذلك فقد اتفقوا على العطف عليه، والإحسان إليه.. فراحوا يفرقون عليه ما لذ وطاب من صنوف الطعام عندما يحل موعد كل وجبة، وكانوا يتسابقون على ذلك، ومن جهة الآباء والأمهات فكانوا يسعدون بذلك جدًا ويباركونه، ويشجعون الأولاد والبنات على تقديم المزيد، حتي انطبق عليه المثل الذي يقول « للشحات نصف البلد!».

ومن كثرة خيرات الله التي تنهال عليه اضطر أن يقوم بإطعام قطط وكلاب الحي!

وفي نهاية الأكل يشكر الرب «رازق الدودة في الحجر!»، ويُقَبّل يديه ويرفعهما إلى فوق ويدعو للأولاد في صمت.

اعتادوا ممارسة رياضتهم المفضلة في قيادة الدرّاجات بالقرب منه، مما أتاح لهم الفرصة في مراقبته وهو داخل العشة في الذهاب والإياب، فكان فمه الكبير الواسع لا يخلو من الطعام والمضغ وكأنه يجتر!

الشيء الوحيد الذي كان يسبب له حرجًا بالغًا ويندى له جبينه هو مراقبة الأولاد له عند قضاء حاجته خلف العشة!

يا له من عملاق عجوز، مخيف، مرعب، وسبحان الله الذي حبب فيه الأطفال

ولولا ترهل عضلاته وإعياؤه الواضح على قسمات وجهه لكان بمقدوره أن يحرك إحدى العمارات المجاورة بسكانها من مكانها!!

وكان بين الفينة والأخرى يمرر يده الضخمة على شعر رأسه المشعث الملبد بالتراب، والذي يغطي جبينه وأذنيه ووجنتيه، فلم يظهر من وجهه إلا عينان تبرقان وأنف طويل، وشفتان غليظتان لا تكفان عن مضغ الطعام أو التمتمة!!

اقترح بعضهم عمل مفاجأة لعم (صابر) كما يسمونه، حيث إن أحدًا لم يعرف اسمه الحقيقي..

وهذه المفاجأة المقترحة هي المساهمة في شراء كسوة له، نظرًا لسوء الحالة التي وصل إليها هندامه، وسرعان ما وصلت هذه الفكرة إلى الآباء فلاقت تأييدًا جماعيًا منهم، ورحبوا بها بشدة، مشجعين بنيهم وبناتهم على الاستمرار في عمل الخير والعطف والإحسان على المساكين والفقراء وذوي الحاجة... وفعلًا تم التنفيذ بمعرفة لجنة مكوَّنة من بعض الأبناء والآباء!

وقبل تقديم الهدية إلى الرجل طرح أحد الأولاد سؤالًا وجيهًا!

- إزاي عم صابر هيلبس الهدوم الجديدة دي وجسمه عليه كل

التراب دا؟

دا غير الريحة اللي ما يتحملهاش بني آدم؟

والحق أن هذا السؤال تسبَّب في خلق مشكلة جديدة في نظر أطفال في مثل سنهم، فصاحوا جميعًا في صوت واحد:

- لازم يستحمى .. لازم يستحمى.

وانتقلت هذه الفكرة بسرعة البرق أيضًا إلى الآباء، ومنهم عم (خليل) البواب الرجل الصعيدي الشهم! الذي رحَّب بالفكرة وتعهَّد بتنفيذها..

بطريقته الخاصة بدأ عم (خليل) في التنفيذ، وإمعانًا في أداء مهمته على أكمل وجه، وإرضاءً لضميره وشهامته قرر أن يقص للرجل شعره، ويحلق له ذقنه ويشذب شاربه..

وعلى الفور تم استدعاء الأسطى (خميس) الحلاق الذي أتى متأبطًا حقيبته التي عفا عليها الزمن، وتوجَّه بصحبة فريق من الأطفال إلى عشة عم (صابر)، وما إن لمحهم حتى ارتجف بدنه الضخم، وبدا شبح ابتسامة على شفتيه، مما يوحي بأنه أدرك الغرض من الزيارة!

قام الأسطى (خميس) بأداء دوره بهمة ونشاط لفتا أنظار

الحاضرين، فأُعجب به الأطفال أيما إعجاب، ومنحوه أجرًا سخيًّا، انصرف على إثره مسرورًا مبتسمًا بعد أن ختم عمله –وكان لايزال يتحسس ذقن عم (صابر) للتأكد من نعومتها– بكلمة «نعيمًا، ثم رددها من بعده الأطفال، أما عم (خليل) فقد قال له:

- نعيمًا يا عريس!!

وغمز بعينه العمشاء للأسطى (خميس) أن يسبقه إلى المكان المتفق عليه! وهو عمارة تحت التشطيب يعمل بها عم (خليل) وزوجته وهي ليست بعيدة عن عشة عم (صابر).

وفي تلك اللحظة أتى أحد الصبية ومعه أدوات الحمَّام اللازمة، وتوجَّه الجميع إلى العمارة، وكانت زوجة عم خليل قد قامت بدورها هي الأخرى على ما يرام فأحضرت (بستلة) كبيرة مملوءة بالماء المغلي! ووضعتها في الحمَّام (مشروع الحمَّام)، بالإضافة إلى الأدوات اللازمة، وارتسمت فرحة غير عادية على قسمات عم (صابر) وهم يأخذونه إلى الحمَّام في موكب مدهش!

والحق أن عم (خليل) والأسطى (خميس) قاما بالمهمة «بحرفنة وصنعة» أثارت إعجاب الأولاد.. أما عن الرجل فكان يضحك ويقهقه كما لم يضحك في حياته من قبل، وكانت السعادة

(تنط) من عينيه! ذلك دون أن ينطق بكلمة واحدة!

ألبسوه ملابسه الجديدة وسط زغاريد بعض النسوة اللاتي حضرن خصيصًا للفرجة عليه، بينما الأولاد يصفقون ويقفزون إلى أعلى في سعادة غامرة.

مشّط له الأسطى (خميس) شعره وشاربه، ولم يبخل عليه ببعض قطرات من قارورة طيب عتيقة بحث عنها في حقيبته حتى وجدها بعد عناء!

فبدا الرجل وكأنه عريسٌ (بحق وحقيقي)!!

زفّوه حتى باب العشة، وكان الظلام قد أوشك فأضاءت المساكن أنوارها، وشاهد الآباء والأمهات والإخوة والأخوات الموكب من الشرفات والنوافذ فاكتملت فرحتهم وسعادتهم..

ومن قبيل المزاح نزل أحد الآباء ولحق بالموكب على باب العشة واقترب منه وشرع في عمل (حديث صحفي) معه لعل وعسى يكشف عن شيء من غموضه وسبب صمته الرهيب! سأله:

- إمتي وفين كان أخر مرة استحميت فيها يا عم صابر؟

وجاءت الإجابة بالصمت ونظرات الدهشة..

كرر السؤال مرة ثانية بنبرة استعطاف..

- إمتي وفين كان أخر مرة استحميت فيها يا عم صابر؟

وفي ذهول ودهشة الجمع.. خرج الرجل من صمته!!

ونطق لأول مرة منذ سنوات.. قال بصوت رخيم:

- أولًا أنا اسمي (هيبة) مش صابر!!

واستطرد بعد أن تنفس الصعداء وازدرد ريقه:

- جبتم منين اسم (صابر) اللي بتنادوني بيه ده؟

وعندما وصل ذهول الواقفين إلى قمته، ولم يحصل على إجابة سؤاله، أكد وهو يضغط على الحروف:

- أنا اسمي (هيبة الفالح تيجاني)! من أعيان محافظة الفيوم، وكنت عضو بمجلس الشعب عن دايرة من دوايرها في يوم من الأيام!!

ولاحظ الجميع أنه كان يتكلم بلغة سليمة، ولكنه كان يصمت بين الكلمة والأخرى بعض الوقت..

وكرر له السؤال للمرة الثالثة:

- متى وأين كان أخر حمّام لك يا عم... إمتي وفين كان أخر

مرة استحميت فيها يا عم صا.. هيبة؟!

- أخر مرة استحميت فيها كانت في قصر أبويا شيخ العرب (الفالح تيجاني) في قرية من قرى الفيوم ليلة زفافي!

فانتبه الحاضرون أكثر وكأنهم في حلم..

- وإمتى حصل دا؟ وفين إتجوزت؟

فأجاب بحسرة بدت واضحة على قسماته:

- للأسف ماتمتش الجوازة.. أخدوها مني.. خطفوها مني..!

وبصوت واحد سألوه:

- مين هما يا عم هيبة؟

علا صوته وتشنج:

- ولاد الحرام.. الله يخرب بيوتهم زي ما خربوا بيتي! منهم لله.

وازداد تشنجه عندما سأله أحد الأطفال:

- والعروسة كان اسمها إيه يا عم هيبة؟

لم يرد عليه وعاد إلى صمته.. وسار حتى اقترب من عشته فتركوه وعادوا أدراجهم والدهشة لم تفارقهم..

في صباح اليوم التالي استيقظ الأطفال في ساعة مبكرة، وكانت فرحتهم لا تُقدّر.. لأن عم (هيبة) تكلم وسوف يتكلم معهم.. سوف يرونه في ملابسه الجديدة الزاهية الألوان ونعله الجديد.. فالكل على موعد معه..

نفخوا بالوناتهم وزيَّنوا دراجاتهم.. ولبسوا جديدهم فاليوم يوم عُرس عم (هيبة).. محاولين بكل الطرق طرد اسمه القديم من ذاكرتهم.

إن الرجل بلا شك سوف يفرح بهم أيضًا، ولن يعد يخجل منهم أبدًا بعد اليوم

توجهوا إلى عشته.. لم يجدوه قابعًا أمامهم كالمعتاد.

تساءلوا: راح فين؟ لازم بيقضي حاجته ورا العشة.. انتظروا قليلًا فلم يعُد.. بحثوا عنه حول العشة فلم يعثروا له على أثر!

ليس من عادته أن يظل نائمًا حتي هذه الساعة.

وأخذت فرحتهم وسعادتهم تهرب من وجوههم تدريجيًّا.

لقد بدأوا يشعرون بخسارة فادحة لم تصادفهم من قبل.

أين ذهب الرجل؟.. لقد كان معهم بالأمس، وكان يقاسمهم السعادة والفرحة.

وخيم الحزن على الحي بأجمعه..

وظلوا يبحثون عن الرجل ثلاثة أيام بلياليها، ولم يعثروا له على أثر حتى اليوم!

سبب الرفض

تم التعارف بينهما في إحدى حفلات الزفاف التي تمت في محيط عائلتها بفندق خمسة نجوم!

وكان مدعوًا من قِبَل أحد أصدقائه وهو من أقارب العروس، وبفطنة أدرك أن هناك خطة مدبَّرة!

قُدِّم كل منهما للآخر، أُعجب بها من أول نظرة..

لباقة وجاذبية وجمال أخَّاذ..

وبعد التدقيق في قسمات وجهها خمّن أنها على أعتاب أعوامها الثلاثين، فقال في نفسه لعل المانع خيرًا في عدم ارتباطها حتى هذه السن رغم هذه المزايا.. وبدأ (الفأر يلعب في عبه)!

وبعد قضاء سهرة صاخبة وممتعة تبادلا خلالها أطراف الحديث التي لا تخلو من عبارات الإعجاب والاستحسان، فيما كانت عيون المدعوين تحاصرهما من كل صوب!

بات ليلته دون أن يغمض له جفن..

كم هي مؤثرة ومستحوذة، لقد استدرجته حتى عرفت عنه الكثير في تلك الليلة، بينما هو كان مشدوهًا وما عليه إلا الإجابة على أسئلتها واستفساراتها واستجواباتها!

هو شاب ناجح وفي مُقتَبَل العُمر، ولم تنقصه الأناقة أو الوسامة، بالإضافة إلى دماثة الخُلُق، فهو من أسرة طيبة، ويعمل في وظيفة مرموقة بأحد البنوك..

في اليوم التالي اتصل بصديقه طالبًا منه تحديد موعد آخر لمقابلتها للتعرف عليها أكثر.

وجاء ردها على عكس ما توقعه، فقد طلبت من صديقه إبلاغه بأن بيتهم مفتوح ويشرّف في أي وقت!

آه... إنه لا يحب الرسميات، ثم إن الموضوع لم يأخذ حقه من الدراسة من جميع الوجوه..

وأصّر على مقابلتها خارج المنزل، ولكنها رفضت بشدة!

ولرغبته الجامحة في مقابلتها أذعن للأمر ووافق على زيارتها بمنزلها بمصاحبة صديقه، فلا حَرَج في ذلك فهو قريبها، وليس غريبًا عنهم، كما أنه صاحب الفكرة!

واستقبلته أسرتها استقبالًا رائعًا، وكانت هذه الزيارة للتعارف

فقط، ووفّرت له الأسرة فرصة للانفراد بها في حجرة جانبية.

عرف عنها الكثير وعرفت هي أيضًا عنه الكثير.. ولم يدخلا في تفاصيل أخرى.. وأجَّلا ذلك لمقابلة أخرى.

وبعد حوالي أسبوع كانت الزيارة رسمية بمصاحبة والده ووالدته، ولم يحضرها صديقه.

تم تبادل عبارات الترحيب، وطلب والده القُرب منهم!

وجاءت موافقة الأسرة مشروطة بموافقة البنت أولًا، حتى تأخذ قرارها بنفسها.

وطلب والدها إعطاءه مهلة يومين للرد عليهم، فابتسم العريس بينه وبين نفسه كمَن يقول إنها موافقة دون تردد لحظة واحدة، ولكني موافق على هذه المهلة، فإنها تعزيزٌ لموقفها، وإني لواثق من الموافقة!

وبعد المهلة.. ولدهشته جاءه الرد بالرفض!

وكانت صدمة نفسية عنيفة اهتز لها كيانه، واعتكف على إثرها بالمنزل فترة طويلة بعد حصوله على إجازة من عمله، وأطلق لحيته ورفض مقابلة أحد حتى صديقه الذي كان السبب فيما حدث.

والحق أن صديقه عندما عَلِمَ بالخبر حاول مقابلته أكثر من مرة، لكن دون جدوى..

واستعرض شريط حياته حتى يصل لسبب واحد للرفض، ولم يهتد إلى شيء.

إنها أول فتاة يتقدَّم لها، كما عَلِمَ أيضًا أنه أول رجل يتقدَّم لها.. لا بد أن هناك شيئًا خطيرًا.. خطيرًا جدًا!

لا بد أن يطمئن على نفسه.. فالرفض قطعًا لا بد أن له أسبابًا ليست بسيطة!

وأخيرًا اتصل هاتفيًا بصديقه الذي استقبل صوته بكل حماس وسرور رغم كل شيء.

وبعد أن توسّل إليه أن يُفصح له عن سبب الرفض، أكد له أنه لا يعرف لذلك سببًا على الإطلاق، كما أكد له أن البنت كانت سعيدة به ومعجبة بشخصه جدًا وما زالت!

إذن ما سبب الرفض؟!

وقبل أن ينهي المكالمة طلب منه صديقه إعطاءه مُهلة حتى يجلس معها على انفراد، ويعرف منها السبب الحقيقي.

ولم يصدق أنه لم يعرف السبب حتى الآن..

سِر الابتسامة

التقينا أمام واجهة أحد محال الملابس الجاهزة بميدان الجيزة..

أُعجبت بها أشد الإعجاب من أول وهلة!، تبادلنا النظرات، وجدتها تبتسم لي ابتسامة سحرتني!

ما هي إلا دقائق معدودة حتى انصرفت في صمت!، وكانت في مشيتها تختال كطاووس..

دون أدنى تفكير قادتني قدماي إلى ملاحقتها والسير خلفها وأنا المعروف بالاتزان بين الأصدقاء والأهل!

جاوزت الميدان بأضوائه الباهرة، وانعطفت إلى شارع رئيسي ثم شارع جانبي، وقبل أن تدخل عمارة عالية– وكأن قلبها كان يحس بوجودي– التفتت خلفها فوجدتني فانبسطت أساريرها وابتسمت نفس الابتسامة!

هزتني دقات قلبي كما لم تهزني من قَبل، وأنا الذي مررت بكثير من تجارب الحب والهجر!

دعتني للدخول!

تاه عقلي ولعبت بي الظنون.. يا إلهى ماذا أفعل؟، إني لم أعرفها من قَبل... من المستحيل أن أُصدق ظنوني.. إن مظهرها يَدُل على أنها فتاة محترمة ومن بيت مُحترم.. ولكن ماذا أفعل؟؟

والحق أنها لم تتركني كثيرًا مع حيرتي وظنوني.. فقد بادرتني قائلة– ولأول مرة أسمع صوتها الملائكي:

- تَفَضّل يا أستاذ محسن... عادل موجود!!

تنفست الصعداء.. وأخرجت من جيبي منديلًا لأجفف عرقي الذي بلل جبيني بلا هوادة..

إنها «إيناس» أخت صديقي وزميل دراستي عادل، أخته الوحيدة التي طالما حدَّثَني عن تفوقها الدراسي بالجامعة، والتي لم يُحَدثني عن رقتها وجمالها الفتان!

ولكني لم أرها ولا مرة رغم ترددي على منزل عادل أيام الدراسة، ولكن يبدو أنها كانت تراني في كل مرة!

دعتني للدخول، فوجدتها فرصة غير محسوبة لمقابلة صديق العُمر عادل.

وأُغلق علينا لأول مرة باب المصعد، وقضينا به أجمل لحظات الصمت الجميل، حيث صمتت الشفاه وتكلمت القلوب.. ولكن!..

السّر x سابع بير!!

أتى من المدينة لإصلاح جرارات وماكينات حضرة العُمدة وصيانتها.

وكان لا بد للقيام بهذه المهمة الإقامة الكاملة بدوّار العمدة لمدة لا تقل عن أسبوع بأي حال من الأحوال طبقًا لتقديره..

وقد أعد نفسه لهذه المهمة، واختار أحد صبيانه المشهود لهم بالكفاءة لمساعدته في إنجاز عمله..

وكان يؤمن بأن الصنعة ما هي إلا عدّة وصبى نشط..

ولما كان العمدة مضيافًا بطبعه فقد استقبلهما بحفاوة بالغة، وأكرمهما أشد كرم طول فترة الإقامة بالقرية، ولم يطمع في أكثر من شغل مضبوط، لا يضطره إلى الاحتياج إليهم مرة أخرى قبل فترة طويلة!..

ومن ذا الذي يستطيع الفوز بالأسطى «خالد» بسهولة وبدون حجز مُسبَق قبل شهر على الأقل؟؟

والأسطى خالد يعمل مع الخواجة «ألبير»، وتتلمذ و«شرب الصنعة» على يديه منذ نعومة أظافره، والحق أن الخواجة يعامله كأحد أبنائه، ولا يستطيع الاستغناء عنه لحظة واحدة.. وقد خصَّصه لأعمال (الخلاء) أي العمل خارج الورشة، فقط لتميزه بما يؤهله لذلك..

ونظرًا للشهرة الواسعة التي يتمتع بها الخواجة في إصلاح الآلات والماكينات الزراعية وصيانتها، فقد أصبح الأسطى «خالد» أيضًا معروفًا على مستوى المحافظة، ويتمتع بالشهرة نفسها، لذا فكان من الصعب الحصول عليه وتحديد موعد عمل معه، لدرجة أن البعض كان يُطلق عليه لقب «دكتور»!

وانتهى الأسبوع دون أن ينتهي خالد من عمله الموكل إليه، فبدأ الخواجة في الاتصال به لاستعجاله، نظرًا لكثرة الأعمال الأخرى التي تنتظره لدى عُملاء أُخر، ولكن يبدو أن خالد قد (استحلى) هذه الشغلانة فأخذ يُبطئ في إنجازها!

والسبب وراء ذلك أن الأسطى خالد– في أول أيام حضوره لدوَّار العمدة– لمح فتاة في عمر الزهور لا يستطيع هو نفسه أن يصف جمالها ورقتها وخفة دمها!

ورجّح أنها ليست زوجة العمدة، حيث إنها في ربيع العمر،

بينما العمدة في خريفه!

كما أنها ليست ابنته، حيث إنه يعلم أن العمدة لم ينجب «صبيان أو بنات». وكان اسمها «جمالات».

ولما كان الأسطى خالد يدندن– أثناء عمله– بمقاطع من أغنيات العندليب الأسمر التي يعشقها الجميع، فكانت الفتاة تقف مشدوهة تصغي السمع إليه، وكلما (هفَّها) المزاج لسماعه عن قُرب، تقوم بإعداد برّاد الشاي الأسود بنفسها وتقدمه له، وعندما يلتقط الكوب من فوق الصينية تتوه عيناه في صفاء عينيها الزرقاوين، فتضل يده الطريق إلى كوب الشاي، فتبدي إعجابها الشديد بصوته الشجن..

أما عن الصبي الصغير فلم يقو على كتم إعجابه بهذا الجمال الأخَّاذ، فكان يختلس إليها النظرات هو الآخر..

أما عنها، فرغم ما عندها من خدم وحشم فإنها كانت ترغب القيام بمهمة إعداد الشاي بنفسها للأسطى خالد، والعمدة دائمًا مشغول بالعموديّة..

.....

ذات مرة لاحظ العمدة أن زوجته مبسوطة فوق العادة!

وقد بدأت هي الأخرى تدندن أثناء إعداد الشاي للأسطى خالد.. فلعب في عبه الفأر وسألها:

- عاملة الشاي لمين يا جمالات، أنا مطلبتش حاجة؟
- هو أنا لازم أنتظر إما تطلبه، ما أنا عارفة مزاجك يا عُمدة..
- لكن أنا مليش مزاج لشرب الشاي دلوقتي.
- خلاص ولا تزعل يا عمدة، نقدمه للناس اللي شغالة في المكن.
- ولا الناس اللي شغالة هتطفح شاي! إيه رأيك؟
- لكن الشاي إتعمل وهيتشرب يا عمدة، وأنا قلت هيتشرب يعني هيتشرب، وأما أشوف بقى هتعمل إيه!

فسحب العمدة صينية الشاي في صمت وخرج بنفسه ليقدمها للأسطى خالد.. الذي شك أن في الأمر شيئًا..

ولما وجد العمدة أن الشغلانة طالت، وقاربت على الأسبوعين ولم ينته العمل بعد.. هاج وماج وأخذ يكشِّر عن أنيابه، ويغيِّر من معاملته للأسطى خالد طالبًا إنهاء العمل في أسرع وقت، حيث إنه سوف يقوم بمأمورية للقاهرة بعد يوم أو اثنين على الأكثر.. ولم يكن يعلم أن هذا الاستعجال قد يكون على حساب الشغل فيؤثر على جودته والاهتمام به!

وعندما اعترض خالد على ذلك، موضحًا أنه لا يحب العمل بهذه الطريقة، ويمكن تأجيل باقي الشغل لمرة ثانية ثار العمدة للمرة الثانية، وراح يندب حظه ويشكو من وقف الحال وتعطيل المصالح، فوعده خالد بأنه سوف يحاول جاهدًا أن ينهي جميع أعماله– بمشيئة الله– في خلال يومين اثنين..

فهدأ العمدة وعادت الابتسامة إلى وجهه بالعافية حتى يرضى الأسطى خالد!

.....

في هذه الليلة حدث ما لا تُحمد عقباه!

فقد تطورت الأمور بسرعة وطُلِب العمدة في منتصف الليل للسفر فورًا إلى وزارة الداخلية بمصاحبة السيد/ مدير الأمن ومأمور الركن لأمر مهم!.. وكان الأسطى خالد وصبيه يغطان في نوم عميق.

الليل قد أوشك على الانتهاء، الفجر قد اقترب من البزوغ، وشعر الأسطى خالد بمن يهمس في أذنه ويهز كتفه ليوقظه.. فنهض منزعجًا فوجدها «جمالات» بشحمها ولحمها في قميص نوم وردي..

- إيه الحكاية؟ اللهم اجعله خير! فين العمدة؟!

فنظرت إليه من فوق لتحت وأجابت:

- ومالك كدة اتخضيت ليه؟ قدامك حاجة تخض؟!

- أبدًا أبدًا العفو بس بسأل..

- سألت عنك العافية ياخويا.. بلا عمدة بلا زفت!، تفتكر أنا سعيدة معاه؟! تفتكر إنه راجل أوي!

فاشتد ذهوله، وحملق في عينيها متسائلاً:

- هو زوجك؟ والله ما أعرف لغاية دلوقت! كنت بافتكره والدك ولا قريبك!

فقالت وقد جلست بجانبه على حافة السرير والولد مستغرق في نومه:

- والدي ولا قريبي؟!.. اسم الله عليك يا خويا..

وكانت تقترب منه أكثر وهو يتراجع إلى الوراء..

ثم استطردت وهي تستعرض مفاتنها أمامه:

- العمدة اللي أنت شايفه قدامك دا طول وعرض وهيئة وشخط ونطر بالكذب، دا منظر وبس، مافيهوش فايدة ولا عايدة... زي عدمه!

ومالت عليه وكادت تلثمه ثم استطردت:

- وأنا اللي عايشة في نار، ومش عارفة اتصرف إزاي، وعيب لما الواحدة تتكلم في حاجة زي دي، وأرجوك تعتبر ده سر بيني وبينك!

فهز رأسه ليطمئنها قائلاً:

- في سابع بير.

وبعد هنيهة صمت سألها في حنو:

- وإيه المطلوب مني دلوقتي؟ أقدر أقدم إيه خدمة؟

فقالت بخجل واضح:

- أبدًا أبدًا.. ألف شكر.. أنا معتبراك زي أخويا..!

- وأنا تحت أمرك.

وبقدر ما كانت تطمع في الكثير منه، بقدر ما احترمت نبله وحسن أدبه وإخلاصه لحضرة العمدة.

وعادت إلى مضجعها، وظلت مُسهدة حتى الصباح (ولا من شاف ولا من دري.. ويا دار ما دخلك شر).

وباءت محاولتها بالفشل على خلاف ما كانت تنويه!

صبي من بلدنا..

(١)

أخيرًا وافق والدي على إلحاقه بالعمل في منزلنا..

وافق رغم معارضة أمي الشديدة خوفًا على أخواتي منه!

حضر من الريف، وهو من أقارب والدي، تَخَلَّف عن (الإلزامي) بدون سبب كما يحدث كثيرًا مع أولاد الفلاحين الغلابة..

كان ترتيبه الخامس بين إخوته وأخواته الثمانية، ولم يفلح أحدهم في التعليم– أو لم يجد الفرصة للاستمرار فيه– مما اضطر الأب وهو فلاح أجير لتوزيع بعضهم للعمل بمنازل الأقارب والمعارف بالبندر نظير المأكل والمشرب والملبس، بالإضافة إلى راتب شهري يحصل عليه الأب شخصيًا ليخفف عن كاهله بعض الشيء..

وعلى الفور أخذت أمي بإعداد طعام الغذاء، وبعد ذلك تم

إعداد الحمام للصبي بعد أن خصَّصت له بعض ملابس أخي الصغير الذي يقاربه في السن..

والحق أن الصبي قد اكتسب عطفنا وحبنا جميعًا من أول وهلة، وخاصة أختي الكبيرة (سلوى) التي أخذت على عاتقها مهمة نظافة وتسوية شعره الأصفر الضارب للحمرة، نظرًا لإعجابها الشديد به، فيما ألقت بطاقيته الصوف من النافذة.

وبدا جماله الريفي الأصيل جليًا فقالت: سبحان الخالق!، أما والدي فقد لعن الفقر من كل قلبه!

ولما كان يتمتع بأخلاق القرية.. من أدب وخجل وشهامة وحس مرهف، فقد نتج عن ذلك إعجاب كل من يراه أو يحادثه..

(٢)

وجاء وقت الجَد.. وبناء على رغبته الملحَّة في العمل، قررت أمي تدريبه على بعض الأعمال المنزلية الخفيفة، ولكن أختي سلوى اعترضت على ذلك بشدة قائلة: إن هذه الأعمال من اختصاص البنات وحدهن، وكانت غالبًا ما تقوم بنفسها بعمل ما يُكَلَّف به من قِبل أمي، فيما كانت أمي تردد بصوت خفيض: (وما جدوى وجوده في البيت؟!).

وبدأت الخلافات تدب بين (سلوى) وأمها، فالأولى متعاطفة معه جدًا، والأخرى تعمل على الاستفادة منه قدر الإمكان، وإلا فلا جدوى منه.

وأنا شخصيًا لم أقتنع بالمرة بوجوده بالمنزل، ولكن لم أحاول إحراج والدي الذي قَبِلَه على سبيل المساندة والإحسان فقط، نظرًا لظروف والده..

ومرت الأيام سريعًا كعادتها، وكبر الصبي وبدأ ينطوي على نفسه رافضًا وصفه في المنزل (كخادم)، وكثيرًا ما كنا نضبطه

متلبسًا بـ«البكاء»..

وأحيانًا كان يفضفض لأخي الصغير بهمومه الخاصة، نظرًا لصداقتهما الجمة، وتقارب السن بينهما، وكان دائمًا يغدق عليه من مصروفه الشخصي، وكانا يقضيان أوقاتًا طويلة أمام شاشة التليفزيون أو الكمبيوتر.

وذات يوم أضرب عن الطعام!، وعندما حاولنا معرفة السبب قال والدموع تترقرق من عينيه قائلاً:

- علشان آكل لازم أشتغل!، والشغل ده مش عاجبني ومالوش مستقبل! أعيش طول عمرى خدام؟!

ومنذ هذه اللحظة أخذت على عاتقي أنا وأختي (سلوى) التفكير جديًا في تحديد مصير ومستقبل لهذا الولد يضمن له حياةً كريمةً.. وهذا حقه..

(٣)

بدأت الأسرة، وعلى رأسها والدي، في التفكير جديًا في بناء مستقبل للصبي يضمن له حياةً كريمةً فهو أمانة في أعناقهم!

وعندما لاحظ الصبي هذا الاهتمام خرج من حالة الانطواء واليأس، وانفتحت شهيته للحياة وعادت الابتسامة إلى شفتيه، وراح يؤدي أي عمل يُكَلَّف به في المنزل بهمة ونشاط!

وفي زيارته الشهرية لابنه، حضر والده ومعه الكثير من خيرات القرية، والفلاح مهما كان فقيرًا فإنه يعرف الواجب جيدًا.

وبعد الغذاء اجتمعت الأسرة بحضور الضيف لاتخاذ قرار في مصير الولد ومستقبله.. وكان رأي الرجل أن يصطحب ابنه ليعمل معه في فلاحة الأرض بالأجر، ولكننا اعترضنا بشدة على هذا الرأي، كما أن الولد نفسه رفض، خاصة وأنه اعتاد حياة المدينة، وكوَّن صداقات في الحي!

فقال والدي:

- إيه رأيكم يتعلم حِرفة يختارها هو بنفسه؟!

فقال الولد بحماس:

- وأنا موافق!

وقلنا جميعًا: وإحنا موافقين.. الولد ذكي وبيتعلم بسرعة!

وقال والده:

- لكن الإقامة والمبيت مشكلة.

فقال والدي بترحاب:

- ماتحملش هم الموضوع ده، واهو برضو ابننا وماهواش غريب.

وازدرد الرجل ريقه، وتهلل وجه الطفل بالفرح لهذا الاهتمام والترحاب اللذين يرجعان أولاً وأخيرًا إلى حُسن أدبه وأخلاقه.

ولكن الأم تململت في جلستها، ولم تنطق بكلمة.. وكانت تنظر لوالدي والغيظ ينط من عينيها! فهذا عبء جديد فوق الأعباء التي تنوء بها الأسرة.

وقال والد الصبي:

- أنا عندي اقتراح يا ريت توافقوني عليه.. باقول يعني يتعلم عندك يا حاج في ورشة النجارة! واهي صنعة يتعايش منها، ولما ربنا يكرم يشوف له مكان ينام فيه.

ووجد هذا الاقتراح استحسانًا من الجميع، بما فيهم الولد..

واستطرد والدي قائلاً:

- على بركة الله، ربنا يوفَّقه ويبقى أسطى قد الدنيا!

الشيخة مسعودة

(١)

هي عجوز شمطاء، جاوزت الثمانين من عمرها، ورثت التسوُّل عن والديها وأخذته مهنة لها..

اكتنزت عشرات الآلاف من وراء هذه المهنة!

لم تتزوج، وأقاربها ومعارفها قليلون، والبعض يتقرّب منها طمعًا في ثروتها التي كانت تحتفظ بها في صندوق من الخشب بمسكنها الفقير المتواضع، الذي يتكون من غرفة واحدة، ودورة مياه عفا عليها الزمن!

وكانت تدّعى الفقر دائمًا أمام الجيران، ولا تبوح بسرها لأحد، وكانت تستعين بصبي صغير من الحي الذي تقطن فيه يُدعى «منصور» في جولاتها بعيدًا عن محل إقامتها بملابسها الرثة باهتة الألوان، والتي لا تُفرّق بين صيف وشتاء، ولا تكترث بدرجة الحرارة أو البرودة!

وكانت تبدأ جولتها اليومية بمصاحبة «منصور» في الصباح الباكر، وتنتهي عند الغروب.. ولم يكن لمنصور مصدر رزق أو عمل أو مدرسة، لذا كانت تغدق عليه بسخاء، ولا تحرمه من المصروف اليومي، وشراء الحلوى والملابس الجديدة في الأعياد والمناسبات.

وكانا في نهاية اليوم يبتاعان المأكولات الشهية والفاكهة بعيدًا عن أعيُن الناس..

ولما كبر الصبي وشبَّ على الطوق، وأصبح فتى يافعًا بدأ يهتم بمظهره في أوقات الراحة، ويلبس البنطلون والقميص الإفرنجي!، مما لَفت أنظار بنات الحي، فبدأن في معاكسته ومغازلته!.

والداه (على أد حالهما) يعملان في تنظيف شقق الناس الغلابة.

وبحُكم الغريزة– نظرًا لبلوغه– وقع في علاقة غرامية مع بنت من المعجبات تُدعى «سنيورة». وعندما علمت العجوز بذلك شجَّعته على الاستمرار في الحب مع «سنيورة» فهذا من حقه!

وكانت تبتاع له الهدايا ليقدمها لسنيورة، فهي الأخرى كانت تحب..!

كانت تحب رجلًا طاعنًا في السن هو الآخر، حيث كانا

على علاقة وصداقة منذ زمن بعيد، ولم يتزوج هو الآخر بسبب الفقر واعتلال الصحة!

وكان يحمل صندوقه الخشبي فوق ظهره و»يسرح» به على المقاهي المجاورة لمسح أحذية الزبائن، وكانت (ترزق واهي عيشة وأخرتها موت).

وكان يقول لمسعودة (مش أحسن من الشحاتة؟!).

وفي نهاية المطاف يستوي الفقير والغني تحت التراب.

وكان يزورها ليلًا بين الحين والآخر، ويشرب معها الشاي الأسود، ويُدخّن (الجوزة)، ولا يحرمها من بعض كلمات الغزل.

.....

وذات يوم تخلّف الفتى منصور عن الحضور لمسعودة لاصطحابها في جولتها كالمعتاد، وأرسل لها «سنيورة» بدلًا منه للقيام بهذه المهمة.

واستمرت معها لعدة أيام، وكانت (مبسوطة) منها وزاد الرزق على يديها، لدرجة أن أغلب المحسنين كان من الشباب، طمعًا في معاكسة سنيورة ومغازلتها.

وكانت مسعودة تسأل عن منصور يوميًّا، متأكدة من أن البنت تعرف أخباره أولاً بأول بحكم العلاقة التي بينهما، لكنها

كانت تُنكر معرفة أي أخبار عنه.

وعندما لاحظت مسعودة وجود قرط من الذهب في أذني سنيورة، أصرت على أن تعرف مصدره، حيث إن إمكانيات أسرتها لا تسمح بشراء مثل هذا القرط، وبعد إلحاح شديد اعترفت البنت بأن منصور قدمه لها هدية في عيد ميلادها!

ولدهشتها العظيمة سألت البنت: من أين أتى منصور بهذا القرط (لازم أعرف منه، وليه يخبي عليّ!)، فأجابت البنت قائلة:

- قالّي إنه اشتغل شغلانة حلوة.

فعقَّبت مسعودة قائلة وقد ازدادت دهشتها واتسعت عيناها:

- وإيه هي الشغلانة اللي تجيب الخير ده كله في كام يوم؟
- الله أعلم، هو قالّي كده.

ومصمصت العجوز شفتيها غير مقتنعة، ولزمت الصمت.

وبعد قليل استطردت:

- طب يا بنتي ربنا يرزقه ويرزقنا.

ولم تمر أيام قليلة حتى تم القبض على عصابة من الشباب لسرقة محلات الذهب، وكان من بينها الفتى منصور!، حيث تم القبض عليه من فوق السطوح، وركب سيارة الشرطة مكبَّلًا

بالقيود مع باقي أفراد العصابة أمام أنظار أهل الحي، ومن بينهم مسعودة وسنيورة.

سنيورة التي انهارت، وراحت تصرخ وتتمرغ في التراب، فيما راحت مسعودة (تطيِّب خاطرها)، وتطبطب عليها قائلة:

- معلش يا بنتي قومي، أنا برضو من ساعتها قولت إن فيه حاجة غلط، العيال ضحكوا عليه وجرفوه في تيارهم، التسوُّل مش حرام ولا عيب، لكن السرقة والنشل والنصب أكبر حرام!، الواد غلبان ومؤدب ملوش في الحاجات دي، الله يجازي أولاد الحرام!

ثم استطرت قائلة:

- أنا واثقة إن الواد ده مظلوم، ولا يهمك يا بت أنا هقوّم له أكبر محامي!

فقامت سنيورة ونفَّضت ملابسها، وفي المساء ذهبت لمنصور في الحجز، وأخذت له مأكولات ومشروبات، وراحت تواسيه، وأقسم لها أنه بريء، ولم يسرق شيئًا من المحل، وكان يقف في الخارج فقط لمراقبة الطريق!!، وطمأنته بأن مسعودة سوف تكلف محاميًا للدفاع عنه.

وفي اليوم التالي تم عرضه على النيابة، وتم الإفراج عنه بكفالة

قدرها خمسمائة جنيه، دفعتها الشيخة مسعودة دون تردد، بالإضافة إلى أتعاب المحامي.

.....

وعند أول مقابلة لها بمنصور، راحت الشيخة مسعودة تُسدي له النصح كي ينفصل عن عصابة سرقة محلات الذهب أو غيرها، وأن يسعى إلى العمل بمهنة شريفة، توفر له لقمة عيش نظيفة، كما أكدت له أن «الشحاتة» مهنة شريفة، وليس فيها نصب أو احتيال!، وأن الذي يعطي شيئًا لله، يعطيه برضا دون إجباره عليه!، كما أن «الشحاتة» تدر دخلًا محترمًا، كل يوم على رزق جديد.

فسمع لها وهز رأسه وانصرف، ولم يمنع سنيورة من اصطحابها في جولاتها اليومية، وكان يستولى على كل ما تحصل عليه من نقود.

ومع الأيام نضجت البنت، واستدار صدرها وردفاها، واحمرت وجنتاها (كالتفاح الأمريكاني!)، فلفتت الأنظار إليها أكثر وأكثر، لدرجة أن فتى من جدعان الحي طلبها للزواج من الشيخة مسعودة.

ولما علِم منصور بذلك جن جنونه، وذهب من فوره إلى هذا الولد في الورشة التي يعمل بها وجذبه من قميصه، ونشبت بينهما معركة شرسة كادت تودي بحياة منصور لولا تدخّل الأهالي وفضها.

وانصرف منصور متوعدًا الآخر بما سيحدث له إذا تعرَّض للبنت مرة أخرى، ولما علِم والدها بذلك (وهو عامل بسيط بمجلس المدينة) ذهب إلى منصور في منزله وهدده أمام والديه بعدم التعرض لابنته.

لكن البنت راحت تقابله سرًا (تحت السلم)، ولا تحرمه من قُبلة أو أكثر عند اللقاء.

وكانت كل مرة تنصرف مرتعدة خوفًا من افتضاح أمرها..

وكثر عدد المعجبين بالبنت، وكانت تجاريهم جميعًا، ولكن القلب له واحد فقط وهو منصور.

وعندما لاحظت الشيخة مسعودة انشغال البنت بالشباب الذين يتزايد عددهم يومًا بعد يوم، رفضت أن تصمت أمام هذا الموضوع، حيث إنها مسئولة عنها.

وذات مساء استدعت البنت بمنزلها، وطلبت منها أن تحدد مصيرها مع منصور أو غيره، فهي الآن كبرت وتعرف مصلحتها جيدًا، ولا داعي لتضييع الوقت (في الكلام الفارغ)، ولا يجب الانتظار حتى يحدث ما لا تُحمد عقباه..

وفي ختام حديثها، أكدت لها أنها مستعدة لمساعدتها، وتلبية كل طلباتها، أما عن البنت فقد طلبت مهلة للتفكير طالما أن

الموضوع (دخل في الجد).

.....

حاول منصور مقابلة البنت والانفراد بها كالمعتاد، ولكنها نهرته بشدة واشتكته لمسعودة التي استدعته ونهرته هي الأخرى، وطلبت منه الامتناع عن اللعب ببنات الناس، وفي حالة رغبته في الزواج منها فعلاً بشرط أن يكون قادرًا على تحمل المسئولية، وفتح بيت، والإنفاق عليه عن طريق مشروع، بعيدًا عن الأولاد الفاسدين إياهم، فعليه أن يتقدَّم لطلبها من ذويها رسميًا، وأن هذه أخر مرة تحذِّره فيها من مقابلة البنت في الخفاء، كما عرضت عليه أية مساعدة يطلبها منها.

والحق أن منصور كان يعمل لمسعودة ألف حساب، ويسمع كلامها، فهي أولًا وأخيرًا صاحبة فضل عليه منذ الصغر، فانصرف ووعدها بأنه سوف يأخذ خطوة جادة في هذا الأمر قريبًا ويرد عليها، بينما علمتْ البنت من أبيها أن موظفًا من زملائه في العمل، حاصلاً على دبلوم، سوف يتقدَّم لها، وعندما علِم منصور بذلك هاج وماج، وقال لنفسه قطعًا سوف تفضِّله عليّ (طبعًا دبلوم أحسن من راسب إعدادية، وأنا أستاهل أكتر من كدة، أنا ضيَّعت نفسي، وياما ناس نصحوني أكمّل تعليمي وماسمعتش الكلام).

وأسرع منصور إلى مسعودة، وطلب منها تعطيل هذا الموضوع بعض الوقت لحين عرض الأمر على والديه..

وبعرض الأمر على والده لم يرحِّب في بادئ الأمر قائلًا له:

- إنت فاكر أبوك إيه!، هنضحك على بنات الناس، الموضوع ده عايز استعداد، وعايز إمكانيات.. ده مش لعب عيال، أنا مقدرش أتعرض لحاجة زي دي أبدًا وإنت عارف البير وغطاه، لازم يكون في جيبي على الأقل ألفين جينه..

وبعد تفكير قال الأب:

- يا ابني من جهة السكن ممكن نفضيلك أوضة فوق تتجوِّز فيها، أهو البيت كبير والملك أحسن من الإيجار، ولما ربنا يكرمك تبقى تأجرلك شقة، أو تقدم على شقة بمجلس المدينة، وتستقل بنفسك.

ثم نظر والده إلى زوجته وهي جالسة على الأرض، وواضعة رأسها بين راحتيها قائلاً:

- ولا الكلام ده غلط يا أم منصور؟، ده كله ولد واحد بس ربنا يصلح حاله ويبعد عنه أولاد الحرام.

فرفعت الوالدة رأسها وقالت:

- والله كلامك عين العقل يا أبو منصور، واللي يعمله ربنا يكون.

ونظر الولد إلى أمه مداعبًا ومتوسلًا ثم قال:

- طب والفلوس يا أم منصور؟

فاستطردت المرأة قائلة بصوتها الضعيف:

- ولدي يا ابني يا حبيبي أنت ناظر لحتة الغويشة اليتيمة اللي في إيدي واللي جبتها بطلوع الروح، مهو محيلتناش إلا هي يا ابني.

ولم ينطق أحدهما بكلمة حتى استطردت الأم قائلة:

- حاضر يا خويا بكرة الصبح هعرضها على «الخواجة عزمي» واشوفها هتجيب كام، بس لو رضيت تطلع من إيدي!، ونجيب للبت حتة شبكة على أد الحال عشان تكون مبسوطة.

وكاد الولد يطير من الفرحة، وأخر النهار ذهب إلى الشيخة مسعودة، وكانت البنت هناك، وأخبرهما بالخبر السار، وطلبوا موافقة البنت فوافقت بدون تردد، قائلة:

- بس المهم أبويا يوافق.

كما أخبرهما أنه والحمد لله يعمل عند أحد التجار، ويحصل

على مرتب معقول، وتم التأمين عليه، (والمرتب هايزيد كل سنة، والراجل مبسوط مني جدًا، وهاتبقى القشية معدن!).

وفرحت الشيخة مسعودة جدًا، ثم طبطبت على منصور قائلة:

- خلِّي موافقة أبو سنيورة عليا يا واد، مبروك عليكم مقدمًا يا ابني.

ووافقت على الذهاب مع أهل العريس في اليوم التالي لمنزل أبي سنيورة لطلب يدها والاتفاق على تحديد موعد «كَتْبِ الكتاب».

ومن المعروف أنه لا أحد في الحي بأكمله يستطيع أن يرفض للشيخة مسعودة طلبًا.

.....

وفي اليوم التالي حسب الاتفاق، توجَّه أهل منصور ومعهم الشيخة مسعودة لمنزل أبي سنيورة، فرحَّبوا بهم جدًا، وارتسمت الابتسامة على الوجوه، وتمت الموافقة والاتفاق على كل شيء، على أن يتم «كَتْب الكتاب» يوم الخميس القادم، وأثناء الزيارة صرَّحت الشيخة مسعودة أمام الجميع أن هديتها للعروسين هي جميع الأجهزة الكهربائية!

فلما دُهِشَ الحاضرون، ولم يصدقوا ذلك، أكدت لهم: (ده من فضل الله عليّا، وأنا ما أعطيتش شيء من عندي، ودول أولادي وأنا اللي مربياهم).

ثم استطردت في دعابة:

- ولا انتوا كبرتوا عليَّا يا أولاد؟

فضحك الجميع من قلوبهم، ودعوا للشيخة مسعودة بدوام الستر والصحة، فهي تأخذ من الناس قروشًا وتردها آلافًا للمحتاجين، كما كانت تتبرَّع في الخفاء للملاجئ والجمعيات الخيرية.

وفي اليوم المحدد حضر الأهالي والجيران «كتب كتاب» منصور على سنيورة، ودقَّت «المزيكا» في الحارة، وقام أصدقاء العروسين بالرقص وتوزيع الشربات على الحاضرين، بينما كانت الشيخة مسعودة تفكر في اختيار مرافق آخر لها في جولاتها.

عزبة الشحات

(١)

العزبة بطريق القاهرة إسكندرية الزراعي بالقرب من عزبتنا...

يمتلكها مليونير يُدعى محسن عبد العاطي الشحات، هو فعلاً كان شحاذًا أبًا عن جد، أي بالوراثة!

وعمل بهذه المهنة حوالي خمسة وعشرين عامًا، وهو الذي أسس (نقابة الشحاتين)، وكان رئيسًا لها لسنوات طويلة.

وذلك كان منذ زمن بعيد، وقليلون هم الذين يعرفون هذه السيرة، هكذا قال لنا جدي، وقد علّق محسن بك كما يطلقون عليه بالعزبة صورة لكلٍ من المرحوم والده بطاقيته الصوف، وجده المرحوم الحاج فرحات بعمامته الضخمة داخل إطارين مطليين بماء الذهب على جدار جناحه الخاص بفيلته بالعزبة.

وقد هجر محسن بيه عمارته بالقاهرة الجديدة، وأغلقها منذ سنوات بالضبة والمفتاح، وفضّل الإقامة بالعزبة التي اشتراها حديثًا

نظرًا لجوها الجميل وطيبة ناسها، وكونها بعيدةً عن جيرانه ومعارفه القدامى الذين عاصروا مشواره الطويل في التسول إلى أن وصل إلى ما هو فيه الآن من عز وجاه وأُبهة!

أنجب ثلاث بنات هن سميحة وجمالات وجميلة، وليس عنده ولد..

زوجته كانت تعمل في نفس الكار قبل الاعتزال، فهي أيضًا شحاتة بنت شحات!

لكن من يراها الآن يظن أنها زوجة باشا وبنت باشوات، هل ذلك اجتهادٌ أم شطارة أم حظ؟، الله أعلم.

وهناك مثل يقول: «قيراط حظ ولا فدان شطارة».

وذات يوم تقدّم المهندس الزراعي مصطفى شكري لخطبة ابنته الكبرى سميحة، وهي مهندسة زراعية أيضًا. ومصطفى موظف على الدرجة الأولى بمديرية الزراعة بالقاهرة، عرفها عن طريق (عم عليوة) بلدياته من المنوفية، والذي يعمل مزارعًا بعزبة محسن بيه، ودائم التردد على منزل مصطفى بشبرا الخيمة عندما ينزل القاهرة، وهناك ودٌّ وصلة قرابة بينهما، وكثيرًا ما كان يلح على مصطفى في موضوع الزواج، حيث إنه قد بلغ الثلاثين من عمره، كما كان يسلط عليه والدته العجوز التي يقيم معها، حيث توفي

الأب عندما كان عُمْرُ مصطفى حوالى ثلاث سنوات، وليس له أخوة أو أخوات.

عرّفه عم عليوة على سميحة عندما تقابلوا ثلاثتهم بمديرية الزراعة بخصوص أمور تخص المزرعة.

ومن عجب أن البنات الثلاث أحسن من بعضهن، آية في الجمال والرقة والأنوثة!.. سبحان الخالق، مع أن الأم ليست جميلة والأب كذلك! (أُمال البنات طالعين حلوين لمين.. الله أعلم).

المهم أن العريس تقدّم بعد أن قام عم عليوة بمحاولات كثيرة لتحديد موعد اللقاء مع محسن بيه الذي يرفض زواج بناته من جنس الموظفين.

ثم وصف له كيفية الوصول إلى العزبة، وفي طريقه إلى العزبة بسيارته (الفيات ١٢٨ التعبانة)، وعلى مشارف العزبة استوقف فلاحًا يمتطي حماره ويسوقه (بشِكل حطب)، ومن حظ مصطفى أنه وقع في (خيشة) عبيط العزبة، فسأله عن عزبة الشحات، فأجابه العبيط قائلا»:

- تقصد محسن بيه؟

وأدخل «شكل الحطب» من نافذة السيارة، وكاد (يخزق) عين مصطفى، وأشار للعزبة من خلال (برابريز) السيارة مستطردًا:

- أهو.. شايف الفلة اللي واقفة قدام العربية دي.. هو هناك.

وظل مصطفى يضحك حتى وصل إلى الفيلا والرجل يحاول اللحاق به فلم يتمكن.

وفي الطريق كان الفلاح يدندن ويقول:

- محسن بيه محسن بيه.. يا رب يخليك يا محسن بيه..

ووصل مصطفى إلى الفيلا ووجد لوحًا من الرخام مكتوبًا عليه «فيلا محسن عبد العاطي الشحات»، كما وجد البواب النوبي يجلس على دكته الخشبية ولا العمدة فسأله:

- محسن بيه موجود؟

فهبَّ البواب واقفًا وسأله:

- مين حضرتك؟ معاك ميعاد مسبق؟

فرد عليه:

- أنا المهندس مصطفى شاكر وميعادي دلوقتي معاه.

فتركه قائلاً:

- من فضلك استناني هنا.

وغاب عنه حوالي عشر دقائق، ثم عاد وهو يدعوه للدخول قائلاً:

- اتفضل.. البيه موجود في انتظارك.

وقاده للبهو الكبير الضخم، وطلب منه الانتظار حتى يحضر البيه، وهلّ عليه محسن بيه في روبه الحرير المستورد، والبايب الذي يتأرجح بين شفتيه.. سبحان العاطي بدون حساب!

وبعد المصافحة والترحاب، سرعان ما جاءت التحية على «الترابيزة» المتحركة التي تجرها البنت «نظاجة» الشغالة.

وكانت التحية طبعًا من ثمار أشجار العزبة، تفاح وخوخ وبرقوق و... (كوكتيل يعني).

والحق أنه كان رجلاً كريمًا فعلاً، مثلما كان الله كريمًا معه.

وجلس الرجل بالقرب من العريس واضعًا ساقًا فوق أخرى، ثم بدأ الحديث متسائلاً:

- نعم يا سيدي طلباتك.

واستجمع مصطفى شجاعته وأجاب:

- بصراحة يا عمي أنا جاي أتشرف بحضرتك أولًا، ثم أطلب إيد كريمتكم بنت حضرتك.

- بنتي مين فيهم؟، ماهم ثلاثة.
- الكبيرة طبعًا يا فندم إحنا ناس نعرف الأصول.
- طبعًا طبعًا مهو عم عليوة شكرلي فيكم خالص، وعلى العموم بناتنا كلهم أحسن من بعض شكلًا وموضوعًا.
- يحصلنا الشرف يا فندم.

ثم استطرد محسن بيه قائلاً:

- هو حضرتك تعرفها؟ سميحة.. هي اسمها سميحة.

فأجاب مصطفى مرتبكًا:

- صدَّقني يا عمي أنا مكنت أعرفها، ولا أعرف اسمها حتى، لولا عم عليوة لما كانت بتيجي معاه عندنا في المديرية وعرَّفني عليها.
- طاب شوف يا ابني معلش سامحني، هتقدر توفر لبنتنا المستوى اللي هي عايشة فيه دلوقتي؟ لامؤاخذة يعني.
- طبعًا يا فندم طبعًا، الفضل لله أولاً وأخيرًا، أنا مرتبي كبير والحمد لله وحاصل على الدرجة الأولى مدير إدارة يعني.
- بتشتغل فين يا باشمهندس؟
- في مديرية الزراعة يا فندم.

- في الحكومة يعني؟
- طبعًا يا فندم في الحكومة.
- أعوذ بالله!
- ليه يا فندم؟!
- أنا بصراحة أكره موظفين الحكومة.
- لا يا فندم مش كل الناس زي بعض، بكرة تعاشرنا وتشوف.
- ما علينا.. يعني من غير مؤاخذة يعني مرتبك كام؟
- مرتبي كبير والحمد لله بخلاف الحوافز والمكافآت والبدلات.
- ولامؤاخذة يعني كله كدة على بعضه (بالحوافظ) والمكافآت في حدود كام؟

أجاب مصطفى وهو يفرك كفيه ويبتسم ابتسامة صفراء:

- والله يا فندم ده سؤال محرج شوية، لكن على العموم من حق سيادتك تعرف كل حاجة عني، هو دخلي الشهري كله على بعضه في حدود ألفين وخمسمائة جنيه.

صاح الرجل وكأن عقربًا قد لدغه:

- بس، ده السفرجي والطباخ أو السواق اللي عندي بيتحصل على أكتر من كدة بكتير!

- مهي مرتبات الحكومة كدة يا فندم.

- جالك كلامي؟ هتسكن بكام؟ وتاكل بكام؟ وتلبس بكام؟! على كدة البنت هتجوع وتتعرى بدون مقاطعة!

- لا يا فندم لا سمح الله ده إحنا نفاديها بعنينا.

ثم نهض محسن بيه من مجلسه وتمشى بالصالة وصفق للشغالة وطلب قهوة سادة لنفسه وسأل مصطفى:

- قهوتك إيه؟

- على الريحة يا فندم.. على الريحة.

وعاد الرجل إلى مجلسه ثم قال لمصطفى:

- شوف يا ابني.. إذا كنت ناوي تاخد بنتي فعلًا ورايدها بحق وحقيقي تعمل اللي هقولك عليه.

- حاضر يا فندم طلباتك أوامر.

وكان محسن بيه بين الحين والآخر يرد على تليفونه المحمول وينهي المكالمة بحرفي (OK).

وأنهى المقابلة قائلاً:

- عمومًا أشوفك مرة تانية لأني مرتبط بميعاد مهم دلوقتي، وبالمرة تشوفوا بعض.

وانصرف مصطفى وهو في حيرة من أمره، ولم يعرف ما هو المطلوب منه بالضبط لكي يخطب سميحة (ولو له نصيب فيها هياخدها هياخدها غصب عن عين أبوها).

(٢)

المشكلة أن مصطفى هو الآخر عنده علَّة تسيء إلى سمعته! وهي أن أمه كانت فيما مضى تخدم وتغسل في البيوت قبل اختراع الغسالات الكهربائية..

ولهذا السبب تم رفضه من قِبل بنات كثيرات عندما عرفن هذا السر، وحاليًا لا أحد يعرف عن تاريخ حياته شيئًا إلا المقربين منه جدًا والأقارب. كما أن مصطفى لا يعرف شيئًا عن محسن بيه حتى الآن والناس أسرار..

وفي زيارة مصطفى الثانية لمحسن بيه بدأ الثاني حديثه قائلاً:

- شوف يا سيدي، إحنا الأول نتغدى سوا عشان يبقى عيش وملح وتبقي معرفة خير.
- شكرًا شكرًا، دايمًا عامر.
- الغدا جاهز ودلوقت وقت غدا.

وأصدر أوامره بإعداد مائدة الغداء.

وكانت المائدة عامرة بما لذ وطاب، ومن خير وإنتاج العزبة، بط وحمام ودجاج مشوي، بالإضافة إلى الخضار والأرز المحمر والحلو.

وبعد الغداء استأنف محسن بيه حديثه قائلاً:

- شوف بقى يا سيدي إنت بإذن الله تشتغل معانا في المهنة بتاعتنا، بس يلزمك عمل عاهة بسيطة على أد ما قسم!!

ولما سمع مصطفى ذلك ذهل، وكاد يقع من طوله! وهو يصيح قائلًا:

- يا خبر أسود، مهنة إيه دي يا فندم؟!! وعاهة إيه اللي بتقول عليها؟!.. أنت حضرتك كنت..؟!

فقهقه محسن بيه وكاد أن (يفرهد) من الضحك ثم استطرد قائلاً:

- ماتخافش ماتخافش أوي كدة.. المهنة بتاعتنا دي ناس كتير بتشتغل فيها، ومنهم محسوبك، بس كان زمان.. شايف العز اللي إحنا فيه ده.. عزب ومزارع ومناحل وعمارات وفلل.. كل ده من المهنة بتاعتنا، بس ده كلام بيني وبينك ميطلعش برة إعمل معروف.

فسأله مصطفى وهو مازال في دهشته:

- إيه هي المهنة دي يا فندم؟

- الشحاتة.. التسول يعني، سميها زي ما تسميها.. بس إحنا مش بنسرق ولا بننصب على حد، دي مهنة شريفة، ومابنضربش حد على إيده.

- إزاي يا فندم؟!، مش معقول الكلام ده أبدًا!!

- صدّقني زي ما بقولك كدة، وأنا هكدب عليك ليه؟، وإنت هتبقى جوز بنتي، بس حلمك عليّ واسمع كلامي للأخر، وإنت حر، إن ماعجبكش خلاص كل واحد في حاله، ويا دار ما دخلك شر.

ثم استطرد قائلًا بصوت منخفض:

- أما العاهة دي مش هاتبقى مستديمة لا قدر الله، ودي حاجة مؤقتة لزوم الشغل، ومن كذا حاجة تختار منهم اللي يناسبك.

- زي إيه كدة؟!

- يعني مثلًا يكسرلك رجل، يكسر دراع، يبوظ عين، مش حق وحقيقي ده كدة وكدة، وده شغلنا إحنا بقى، ولينا الناس بتوعنا اللي يقوموا بالمهمة دي.. شغلتهم كدة.

ثم تساءل مصطفى وهو لم يصدق نفسه:

- وبعدين؟!

- وبعدين إذا كنت ناوي بصحيح إختار العاهة اللي تناسبك، وأنا من بكره أوصي عليك المعلم «ذعرب» صانع العاهات، وبعد كدة بإذن واحد أحد تنزل الشغل، وليك عليّ أحددلك الأماكن السُقع اللي فيها شغل يفتح النفس، وجرب حظك يا سيدي، اعتبرها تمثيلية، ماتعرفش تمثل؟!.. ما كلنا بنمثل.. وإذا كان فيه نصيب هيكون فيه جدول هتمشي عليه، بس أنت خد قرارك ورتِّب أمورك، وشغّل الهندسة بتاعتك بقى، ونشوف بعد كدة الأحسن، شغل الحكومة ولا الأعمال الحرة!، ودي شغلانة سهلة ولا فيها مجهود، ولا فيها مسئولية، ولا ضرايب ولا تأمينات ولا وجع دماغ، إنت يادوبك هاتقعد زي الباشا أو تقف على الرصيف وتمد إيدك للرايح واللي جاي وتقول لله يا محسنين!!

(٣)

وبعد تردد ذهب مصطفى إلى ورشة صانع العاهات أو المعلم أو الدكتور «ذعرب» كما يطلقون عليه، وقدَّم له كارت محسن بيه فرحب به وعرض عليه نماذج من العاهات كي يختار منها ما يناسب ذوقه!

ولم يقتنع مصطفى بأي عاهة منها، وقرر أن يصنع عاهته بنفسه!!

وانقطعت أخباره عن محسن بيه..

وذات يوم وبعد أداء صلاة الجمعة بمسجد «عمر مكرم» وفي طريقة إلى سيارته المركونة في أحد الشوارع الجانبية، لفت نظر محسن بيه شحاذٌ كان جالسًا على رصيف المسجد بنظارته السوداء، وجاكتته الرثة، وجلبابه الإفرنجي القصير، وشعر رأسه وذقنه وشاربه الطويل (ومداسه مشقق من كل جانب)، وكل الخارجين من الصلاة يحسنون عليه حتى امتلأت جيوبه!

تقدّم منه وتفرَّس في وجهه، ثم وضع في يده الممدودة ورقة

ذات خمسة جنيهات وهمس في أذنه:

- كلمه السر إيه؟

فأجابه هامسًا أيضًا:

- العزبة... الفيلا!!

فضحك كل منهما من قلبه ولكن بحرص شديد حتى لا يكتشف أحد أمرهما.

ثم استطرد محسن بيه قائلاً:

- هانتظر منك تليفون بعد ما تخلص شغل.

وانقطعت أخباره للمرة الثانية عن محسن بيه.. وبعد أيام توجه للفيلا دون موعد سابق وطلب مقابلة محسن بيه فوافق على الفور.

لكن مصطفى كان في ثورة غضب، فحاول محسن أن يهدئ من روعه قائلاً:

- مالك وشك مقلوب كدة ليه؟ حصل حاجة؟ وكنت غطسان فين اليومين اللي فاتوا؟!

فأجاب مصطفى وهو في قمة الانفعال:

- أنا مش عارف لغاية دلوقتي أنا طاوعتك إزاي، وأنا مستغرب

شاب جامعي مهندس زراعي أد الدنيا يقعد في الشارع بالمنظر ده ويمد إيده للرايح واللي جاي ويقول لله يا محسنين!! ، ويستحل حق غيره، ده أنا كنت قاعد في نص هدومي وخايف أحسن حد يعرفني، وإذا كان عليك إنت، أيامكم غير أيامنا، ثم إن ظروفك كانت تفرض عليك كدة، لا مؤهل ولا صنعة، طلعت لقيت نفسك شحات زي أبوك وجدك!، كان لازم أنت كمان تكون زيهم، وخلاص ربنا تاب عليك وبطلت شحاته، وبتصر إنك تجوز بناتك شحاتين؟!، يا راجل حرام عليك.. دي بنات زي الورد ومتخرجين من كليات محترمة، عايز تجوزهم لشحاتين؟! لا لا.. ده حتى ربنا ما يرضاش بكدة أبدًا، أنت لازم تغير مفهومك وتغير نظرتك للدنيا، واللي فات مات ولابد إنك تكفر عن سيئاتك.

وظل محسن بيه ينصت ويسمع إلى أن أنهى مصطفى حديثه، ثم سأله قائلاً:

- أنا غصبتك تعمل كدة؟ أنا مش من الأول خالص قولتك أنت حُر، وبعدين جاي دلوقتي تديني مواعظ، يا سيدى اللي بيحاسب العباد ربنا مش أنت ولا غيرك، ثم إني كنت باخد من الأغنياء وبدي للفقراء، أنت عارف العزبة دي بس فاتحة كام بيت؟، أنت عارف أنا بصرف مساعدات

شهرية لكام أسرة؟، كنت هاجيب منين عشان أعمل كدة، ولنفرض إني عملت سيئات، كل ده ما يكفرش عن سيئاتي؟ يا مصطفى.. يا باشمندس..

وبعد أن هدأت أعصابه واقتنع بعض الشيء بدفاع محسن بيه، تنفس الصعداء ثم سأله:

- خلاصة الكلام، هتجوزني بنتك ولا لأ، أنا مش جاي أترجاك، أنا عايز أسمع منك كلمة واحدة، أيوه ولا لأ؟

فابتسم محسن بيه ابتسامة صفراء مغلفة بالخجل ثم صفق طالبًا الشغالة:

- تحب تشرب إيه؟، قهوة؟ أيوه صحيح قهوتك على الريحة.

وطلب القهوة ثم استطرد قائلاً:

- إيه رأيك إن دمك بيبقى خفيف وإنت زعلان، على العموم أنا معجب بيك أشد إعجاب، ومعك حق في كل اللي قولته، المهم عملت بكام في اليومين دول؟! ومشيت على الجدول ولا لأ؟!!

فمد مصطفى يده في جيبه وأخرج مظروفًا كبيرًا منتفخًا بالنقود، وقدمه لمحسن بيه قائلاً:

- إتفضل خد الفلوس أهي، حطها في أعمال الخير بتاعتك وعفا الله عما سلف.

فأخذ منه المظروف وعد ما به من نقود وقال:

- عشر تلاف جنيه في حوالي عشرين يوم، معقولة!!.. مش بطالة، يعني مستغني عنهم؟ خليهم مع فلوس اللحمة بتاع الغلابة أهو العيد الكبير قرب.

ثم صمت برهة واستطرد:

- وده يبقى حق غيرك إزاي بقى؟

- طبعًا حق غيري، مش الفلوس دي كانت هتبقى لحد محتاج فعلًا مش لاقي ياكل؟!

وفي أثناء الحديث دخلت سميحة شخصيًّا بصينية القهوة وقدَّمت لكل منهما فنجانه، واستدارت لكي تخرج وتتركهما، ولكن والدها أمرها بالبقاء معهما قائلًا:

- اقعدي يا بنتي.. اقعدي شوية مع عريسك!

وأخذ فنجانه في يده وتركهما معًا.

(٤)

وبدأت سميحة الحديث مع مصطفى لأول مرة وابتسامتها الساحرة تسبق كلامها:

- إزيك يا مصطفى؟؟ عامل إيه؟
- أنا الحمد لله كويس بوجودك، إنتي اللي عاملة إيه؟
- على فكرة يا مصطفى أنا كنت متابعة وسامعة كل اللي حصل بينك وبين (دادي) من الأول للآخر، وقولت أستني لما أشوفك هتعمل إيه، والحقيقة أنت طلعت جدع وعجبتني جدًا وكبرت في نظري، ولو استمريت في التمثيلية دي على طول كنت رفضتك.. أيوه كنت هرفضك.. أنا استحالة أتجوز واحد شحات، كفاية شحاتة بقى، عايزين ننضف، وأولادنا يطلعوا محترمين، وإن شاء الله بكره أشتغل بشهادتي وأساعدك في المعيشة.

هز مصطفى رأسه وابتسم ابتسامة إعجاب ثم قال:

- يعني موافقة نبدأ حياتنا بعيد عن التمثيل والضحك على

الناس والاستيلاء على حقوق الغير؟

- طبعًا طبعًا أنا موافقة على كل ده، وأنا مؤمنة إن ربنا هيساعدنا ومش هنحتاج لحد.

- أنا دلوقتي بس ارتحت نفسيًا وحسيت إن حمل تقيل إتشال من على ضهري.

وعندما طالت (القعدة)، وخوفًا من الأم على ابنتها، طلبت من الأب التدخُّل، فتنحنح من بعيد قبل الدخول عليهما في حجرة الصالون، فقطع الحديث وقال الأب وهو في منتهى السعادة وهو ينظر إليهما:

- خلاص نقول مبروك، إحنا دلوقتي كسبنا راجل محترم في العيلة.

وجاءت الأم كذلك وباركت لهما و(فقعت زغرودة) هزت جدران الفيلا.

حكايات أبو حبيب

كان يزورنا من الأسبوع للأسبوع!

وكانت زيارته تبدأ من يوم الإثنين بعد الغروب، وتنتهى فجر يوم الثلاثاء.

يأتي حاملًا فوق ظهره شيكارة (الكسارة).

والكسارة هي غذاء الكتاكيت والعصافير، كما يكون حاملًا معه أخبار وحكايات القرية، فهو بلدياتنا.

ولم يأكل أو يشرب عندنا أي شيء خلال فترة إقامته، فهو يريد المبيت فقط، وينام مبكرًا حتى يستطيع القيام مع أذان الفجر للذهاب إلى سوق الثلاثاء سيرًا على الأقدام، وهو على بعد مسافة ليست قليلة من منزلنا، وذلك لتسويق بضاعته من كسارة الحبوب.

فقط يطلب فنجانًا مملوءًا بالماء وقليلاً من الملح الذي يذيبه في الفنجان، ثم يقطر من المزيج في عينيه قبل النوم..

وكنا نتعجب من ذلك، ولكنه كان يقول لنا إن الملح يجلي النظر!

كنا نجتمع ليحكي لنا حكايات وأخبار القرية التي يحضرها لنا كل أسبوع ويحكيها بأسلوبه الشيِّق..

- أول مرة حكى لنا حكاية «حسن أبو حسين» الذي رفض زاوج ابنته (روحية) من محامٍ، مفضلًا عليه حميدة ابن أخيه حبًا فيما سوف يرثه من أطيان من أخيه الحاج حامد بعد عمر طويل.

وكانت البنت تبكي بالدموع ليل نهار رافضة ابن عمها، فهي لا تحبه ولا تطيقه، ثم إنهما كالإخوة، حيث تربيا وترعرعا في بيت واحد، ولكنها تريد الشاب المحامي ابن البندر رغم أنها لم تره.

لكنها أخيرًا تزوجت ابن عمها رغم أنفها وأنف أمها.

- وثاني مرة حكى لنا حكاية «أم نادية» (الهجالة) بائعة الطيور والبيض والزبدة، وكيف أن تلميذًا بمدرسة الصنايع ضحك على ابنتها نادية وغرر بها ثم تركها مثل (البوكلة المكسورة).

وذهبوا إلى أهله سرًا وهم ناس من أعيان البلد، ولكن الولد أنكر فعلته بشدة، فسكتوا خوفًا من الفضيحة.

وكانت «الولية» المغلوب على أمرها، تفطر البنت وتغديها وتعشيها يوميًا (بالشبشب) إلى أن يبان لها صاحب!

- وثالث مرة حكى لنا حكاية (الجثة) التي وجدوها ذات صباح طافية على «وش» المياه في البحر الذي يقسم البلد نصفين، وأخرجوها بعد إبلاغ الجهات المختصة، وكانت الجثة لامرأة مخنوقة بمنديل، ومشوهة الوجه لإخفاء ملامحها، وأثبتت التحريات والتحقيقات بعد عناء، لولا وجود (وشم) على ذراعها الأيسر.

واتضح أنها جثة «حسنية» الدلالة التي كانت على علاقة محرمة بطالب بكلية التربية، وهو ابن إحدى زبوناتها التي كانت تعرض عليها بضاعتها بالمنزل، ولما كان الولد يقضي أجازاته بالقرية، فكانا يتقابلان بعِلم أمه ويقضيان معًا ساعات طويلة ويكون ما يكون!

ولما فاحت رائحتها في القرية، وكان زوجها رجلاً شريفًا يأكل لقمته بعرق جبينه، استدرجها هو وأخوها إلى المزارع وخنقاها وألقيا بجثتها في البحر..

وكان الشاهد الوحيد عليهما هو ضوء القمر الذي أخذ يتلألأ على صفحة الماء.

وتم القبض على الزوج والشقيق وطالب التربية (أو ناقص التربية)! واعترفوا جميعًا بجريمتهم الشنعاء.

- ورابع مرة حكى لنا حكاية «الأستاذ جرجس أبو فرحات» المدرس بالمدرسة الابتدائية مع زميلته «نرجس» التي خطبها لمدة أربع سنوات، ثم فسخ الخطوبة لعدم قدرته على توفير سكن، نظرًا للارتفاع الجنوني في الإيجارات..

والجميع شاهدهما معًا داخل وخارج المدرسة خلال هذه المدة، مع أن دخله معقول من الدروس الخصوصية التي خصَّص لها حجرة في منزل أسرته وربنا فاتح عليه.

(وحلفتْ نرجس برأس أبوها ما هي متجوزة بعد كدة، واترهبنت ودخلت الدير، واللي زاروها قالوا إنها مبسوطة جدًا وفي منتهى السعادة، وحالتها النفسية أحسن من أي زوجة!).

- وخامس مرة حكى لنا حكاية الولد «مروان أبو خالد» الولد المدلل الوحيد على ثلاث بنات، الذي هجر والديه بعد سوء المعاملة التي تلقاها منهما، وعدم الوفاء باحتياجاته، عقابًا له على عدم رغبته في التعليم.

ترك مروان المدرسة وهو في الصف الخامس الابتدائي، وسار خلف (شلة العيال البايظة، ودلوقتي بيدفع الثمن غالي!).

المهم أنه ذهب إلى البندر ثم اتجه إلى محطة القطار وركب على سطح القطار المتجه إلى القاهرة حتى وصل إلى محطة رمسيس،

وعمل حمَّالًا لحقائب المسافرين القادمين والذاهبين، و»الفلوس كترت معاه».

ظل ينام على رصيف المحطة إلى أن تعرَّف على صاحب البوفيه هناك، وعندها بدأ يبيت داخل البوفيه حتى الصباح، ثم تعرَّف بعد ذلك على ناظر وموظفي المحطة الذين أحبوه لأدبه وخفة دمه.

ومرت شهور على هذا الحال وأهله لم يعرفوا عنه شيئًا، وقلبوا عليه الدنيا بلا جدوى.

وأخيرًا بدأ يرسل لهم الخطابات، ويخبرهم أنه «بيشتغل والقشية معدن الحمد لله».

ولم يذكر لهم في خطابه مكانًا أو عنوانًا طبعًا، وعندما يصادفه أحد من البلد في المحطة، كان يخفي وجهه ويجري من أمامه، و»ربنا يتولاه برحمته الواسعة».

ومر أسبوع واثنان وثلاثة ولم يحضر أبو حبيب، وغاب عنا، وغابت عنا حكاياته الشيقة.

وكنا ننتظره على باب المنزل كل يوم إثنين في موعد حضوره، ولكنه لم يحضر، كما كان والدي يذهب كل يوم ثلاثاء إلى السوق للبحث عنه، ولكنه لم يستدل عليه.

ثم ذهب والدي إلى القرية التي لم يدخلها منذ حوالي عشرين عامًا، رغم أنها بلدته، وسأل عن الرجل فقالوا له: (تعيش إنت)، إنه انتقل إلى رحمة الله من حوالى أسبوعين، ومات فجأة وهو واقف على قدميه، فما كان من والدي إلا أن ضرب كفًا بكف، ومصمص شفتيه وهو يكلِّم نفسه طول طريق العودة قائلًا:

- الدوام لصاحب الدوام، ألف رحمة ونور عليك يا أبو حبيب..

وعلمنا بعد ذلك أنه كان يعيش وحيدًا في بيت طويل عريض بعد وفاة زوجته أم العيال، وأحد من أولاده لم يسأل عنه، وكان يعيش على الدخل البسيط الذي يأتيه من (الكسارة)، دون أن يضطر لطلب المساعدة من أحد، رغم أنه كان طاعنًا في السن، وفي حاجة إلى الراحة.

مقطوع من شجرة!

جاء من الصعيد منقولًا إلى مديريتنا، وكان يشغل وظيفة «عضوٍ قانونيٍّ» في إدارة الشئون القانونية..

على مشارف الأربعين من عمره، ممتلئ الجسم، قمحي اللون، عسلي العينين، خجول، خفيف الظل، عذب الحديث..

انتقى لنفسه مجموعة من الأصدقاء من خيرة العاملين بالمديرية، أما عن الآنسات والسيدات فكن (يموتن في دباديبه!).

والحق إنه كان دمث الخلق، لا تخرج من فمه العيبة.

وعندما تحاول معرفة أي تفاصيل عن أسرته أو عن عائلته أو حالته الاجتماعية، كان يتهرب من الإجابة، ويبدل الكلام بكلام آخر، ولا يدلي بأي بيانات شخصية.

وكنا نتقابل معه في المساء بعد مواعيد العمل، وكنا نعزمه على الغذاء أو العشاء، فكان يلبي الدعوة دون تكليف، خاصة وأن معظم زوجاتنا، زميلات له في العمل، وكن يرحبن به أيما

ترحيب، وكان من جانبه يحاول أن يرد لنا هذه (الجمايل) بطريقة أو بأخرى.

وكان البعض يرشحون له «عرايس» من الزميلات، ولكنه كان يرفض فكرة الزواج بشدة، ويرجو منهم عدم الحديث في هذا الموضوع على الإطلاق..

كان يقيم في شقة متواضعة بأحد الأحياء الشعبية، والجيران أيضًا أحبوه وفعلوا معه المستحيل (ليكمل نصف دينه)، وكانوا يرشحون له بنات (على الفرازة) وأصغر منه بسنوات، ولكنه كان يرفض رفضًا باتًا دون إبداء أسباب، لدرجة أنهم شكوا في أشياء أخرى!

وما كان من فتيات الجيران إلا القيام بخدمته لوجه الله تعالى دون هدف أو مصلحة نظرًا لذوقه وأدبه.

ومن حين لآخر كانت تزوره سيدة غاية في الحسن والجمال وتصطحب معها طفلة جميلة، ولم يعرف الجيران من تكون ولماذا تزوره.

وذات مرة زاره أحد زملائه في العمل فوجدها عنده، فلم يعلق على شيء، وشرب الشاي وانصرف..

ولكنه سرعان ما نشر هذا الخبر في المديرية، فاستقبله الزملاء

في اليوم التالي بفتور ونظرات مريبة، ولكنه تجاهل ذلك، ولم يفاتح زميله الذي نقل إليهم هذا الخبر أو يعاتبه، ولكنه كان يرمقه بنظرات غضب ملحوظة دون أن يتكلم..

وكان كل مدة يحصل على إجازة بحجة زيارة أصدقاء له بالقاهرة وقضاء بعض الوقت معهم.

وذات يوم سأل عنه في الحي الذي يقطن به رجل ضخم يرتدي الملابس البلدية، وعلى كتفه «لاسة» من الحرير، صوته غليظ وعيناه جاحظتان، ولهجته صعيدية..

سأل عنه الكوَّاء والبدَّال والخضري، وتأكد من عنوانه، وانصرف إلى حال سبيله.

ومرة أخرى فعل نفس الشيء رجل آخر، لدرجة أن الجيران شكوا في أنهما من رجال المباحث!

ولكنه رجل مستقيم ومؤدب، ولم يحدث منه ما يسيء إليه، ومن البيت للشغل ومن الشغل للبيت، واحتاروا في أمره قائلين لبعضهم البعض:

- الراجل ده وراه سر غامض.

وكان عند خروجه من المنزل أو عودته إليه، يلقي التحية على

كل من يصادفه في الطريق دون سابق معرفة.

وعندما يصادف سيدة أو فتاة ولو حتي من جيرانه، يدير وجهه الناحية الأخرى.

ومرة أخرى زاره رجل بسيارته المرسيدس السوداء (ملاكي قنا)، وكان يرتدي الملابس البلدية أيضًا، وكان يبدو عليه أنه عمدة (أو حاجة زي كدة)، وبات عنده ليلة واحدة ثم رحل عند بزوغ الفجر.

وبعد هذه الزيارة بيومين، ترك الشقة واستأجر شقة أخرى بأطراف المدينة.. وتقدم بطلب إلى مدير المديرية لنقله إلى محافظة أخرى.

ولم يعرف زملاؤه أنه ترك الشقة، إلى أن توجه أحدهم لزيارته في المساء فلم يجد أحدًا بالشقة..

وأخبره الجيران أنه ترك الشقة، فسألهم عن سكنه الجديد فقالوا: لا نعرف عنه شيئًا..!

وانتشر هذا الخبر أيضًا في المديرية، ولكن أحدًا لم يعرف عنوانه الجديد، كما علموا بأنه تقدم بطلب نقل من المديرية لإحدى المحافظات الأخرى.

وفجأة تغيَّب عن العمل حوالي أسبوع دون الحصول على

إجازة، وحاول زملاؤه الوصول لعنوانه فلم يتمكنوا من ذلك.

وذات صباح لاحظ السكان الجدد، انبعاث رائحة كريهة من شقته، ولما ضغطوا على الجرس عدة مرات، ولا من مجيب، قاموا بإبلاغ الشرطة.

وسرعان ما امتلأ الشارع بسيارات الشرطة والإسعاف، وكسروا الباب، فوجدوه ملقيًا على ظهره بحجرة النوم غارقًا في دمائه.

وصرّح بعض الجيران بأنهم سمعوا صوت طلق ناري ثلاث مرات قُبيل الفجر منذ بضعة أيام.

وجال وكيل النيابة بعينيه بين الحاضرين بعد المعاينة وسألهم:

- حد منكم يعرفه؟ حد قريبه؟

فلم يجبه أحد، وهمس الواقفون بعضهم لبعض:

- ده لازم عليه (تار).

ومصمص آخرون شفاههم قائلين:

- ده باين عليه مقطوع من شجرة.

وأمر وكيل النيابة بنقل الجثة، بعد أن لفها أحدهم بملاءة السرير والدم ينضح منها، إلى المشرحة لمعرفة سبب الوفاة وحفظها

بالثلاجة لحين ظهور من يتسلَّمها.

وبعد يومين حضر الرجل صاحب السيارة المرسيدس السوداء، وبعد التحقق من شخصيته تم تسليمه الجثة وتصريح الدفن. واتضح أنه الصديق الحميم للمجني عليه.

المعازيم

اعتدت زيارة خالتي وبناتها مرة أو مرتين في الأسبوع، وخاصة بعد أن خطبت ابنتها الكبرى..

وكان مساء يوم خميس عندما توجهت إلى منزلهن للزيارة، وكان المنزل يتكون من طابقين في حي شعبي، كل طابق به شقة واحدة، وكنّ يقطنّ في الطابق الثاني.

وكنت في كل زيارة أجد باب البيت الخشبي الكبير مغلقًا، فأمسك (السماعة) الحديد التي على شكل يد وأطرق بها القرص الحديدي المثبَّت بالباب، فتطل إحداهن من الشرفة وتشد حبلًا مربوطًا بذراع حديدي بالباب يطلق عليه (سقاطة) وتفتح لي الباب وأدخل.

ولكن في هذه المرة، وجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه على غير العادة، وكان الدهليز مكتظًا بالناس والكراسي، وفي الوسط كوشة مزينة بأحبال النور الملونة والورود، وعلى كرسيين كبيرين يجلس العروسان في غاية الجمال والأناقة والسعادة ويوزعان

الابتسامات على الحاضرين.

لم تسعفني الذاكرة بالتعرُّف على أحدهم، الرجال بالملابس الرسمية، والسيدات والبنات بفساتين ناصعة البياض.

وفي سرعة البرق تقدم إليّ أحدهم– واضح أنه من أهل الفرح– ودعاني للجلوس بعد أن سحب كرسيًا كانت تجلس عليه طفلة صغيرة.

وجلست مذهولًا، لكني لم أجد من أعرفه أو من يعرفني، وكأنهم من كوكب آخر!

الجميع على درجة عالية من الأناقة والشياكة، ولما جاء دوري اقتادني أحدهم إلى غرفة جانبية لاحظت دخول وخروج المدعوين منها، حاولت الاعتذار ولكن بلا جدوى، وكان (البوفيه المفتوح).

وتناولت العشاء على أنغام موسيقى حالمة لم أعرف مصدرها.. وكلٌ يسأل الآخر عن هويتي، فلم يجد جوابًا!

واستأذنت مهنئًا العروسين، وهممت بصعود السلم المفضي إلى الطابق الثاني (شقة خالتي)، لكني تراجعت عندما نظرت إلى الساعة فوجدتها تقترب من الثانية عشرة منتصف الليل، فأجَّلت زيارة خالتي إلى مساء اليوم التالي..

وفي مساء يوم الجمعة، وفي نفس الموعد توجَّهت إلى بيت

خالتي، فاستقبلتني هي وبناتها بفرحة وبشاشة كالمعتاد، ولكن عتابهن عليّ كان شديدًا لعدم زيارتي لهن أمس كما وعدتهن، فأخبرتهن بأنني حضرت بالأمس، ولم أتمكن من زيارتهن بسبب حفل الزفاف الذي كان عندهن بالطابق الأول.

فارتسمت علامات الذهول والدهشة على وجوههن جميعًا وتساءلن بصوت واحد:

- فرح إيه؟!

فقلت:

- الفرح اللي كان هنا في البيت في الدور الأول.

فكررن السؤال بنفس الدهشة:

- فرح إيه؟!!

وبدهشة أكثر قلت:

- جرى إيه يا جماعة!، إيه الحكاية؟! مش كان فيه فرح هنا إمبارح عند الجماعة اللي تحتيكم؟!

فازدادت دهشتهن وضربن كفًا بكف وسألن للمرة الثالثة:

- فرح!! .. يعني يبقى فيه فرح في بيتنا وإحنا ما نعرفش؟!

فاضطررت أن أقسم لهن بأني جئت إلى هنا البارحة ووجدت عُرسًا بالطابق الأول، وتناولت العشاء ضمن المعازيم.

فأقسمن هن الأخريات بصوت واحد بأنه لم يكن هناك عرسٌ على الإطلاق بالطابق الأول أو بالشارع بأكمله بالأمس.. كما أن الشقة مهجورة منذ سنوات ولم يسكنها أحد بعد وفاة جدتنا!، ولو كان ذلك صحيحًا لكنّ أول المدعوين!

واحترت واحتار دليلي وجلست مذهولًا، ولم أعرف هل أصدق نفسي أم أصدق كلامهن!

وفي صباح اليوم التالي، سألن الجيران فأكدوا صحة كلامهن بأنه لم يحدث ما أخبرتهن به على الإطلاق..

ومن يومها قللت من زياراتي لهذا البيت لأنني كنت أشعر بخوف شديد بمجرد الاقتراب منه.

الضيف الثقيل

ظهرت نتيجة تنسيق القبول بالجامعات، وتم قبولي بكلية التجارة جامعة عين شمس (انتساب) بناءً على رغبتي، حيث إنني كنت موظفًا بالحكومة.

ولما اقترب موعد امتحانات أخر العام، كان لا بد أن أفكر في البحث عن مكان للإقامة الكاملة بالقاهرة أو ضواحيها فترة الامتحانات، حتى أتمكن من الاستقرار والمذاكرة، وذلك بعد حصولي على إجازة اعتيادية من عملي، حيث إنني من أبناء الفيوم.

وقد كانت لنا قريبة تقيم بمصر القديمة مع زوجها وابنتيها في شقة صغيرة بمنزل قديم، ولها ولد متزوج وابنة متزوجة، ويقيم كل منهما بالقرب من بيت الأسرة..

وهي أسرة بسيطة (على قد حالها)، ومهنة الزوج «نجار مسلح»، يخرج لعمله في الصباح الباكر، ويعود مع غروب الشمس مرهقًا يستريح قليلًا ثم يتناول العشاء، وينام حتى الصباح..

وقد اقترح عليّ أخي- رحمة الله عليه- أن أقيم مع هذه

الأسرة خلال مدة الامتحانات، وكان واثقًا بأن (الست) وهي صاحبة الأمر والنهى في البيت، سوف ترحب بإقامتي نظير مبلغ بسيط أقدمه لها..

وقد حظيتْ هذه الفكرة بالتأييد والموافقة من الجميع، رغم أنني لي الكثير من الأقارب بالقاهرة والجيزة، ولكني فضَّلت الإقامة مع هذه الأسرة حتى أكون بكامل حريتي، وأستطيع أن أصرف من جيبي عند اللزوم.

وفعلًا وقبل بداية الامتحانات بيومين، حزمت حقيبة ملابسي وكتبي وتوكلت على الله، وكنت قد حصلت على العنوان من أخي (وطبيت عليهم) كالقضاء المستعجل دون سابق موعد، ولكنهم في الحقيقة رحَّبوا بي، ولم يظهروا أي دهشة أو ارتباك لحضوري المفاجئ، ولكن (الست) كانت تنظر إلى حقيبتي بين الحين والآخر ولا تنبس بكلمة..

وبعد تناول التحية، أخذتها «على جنب وغمزتها بمظروف يحتوي على القرشين اللي فيهم النصيب»، وأخذتهم (بالعافية) بعد أن أفهمتها أنني سوف أقيم عندهم أيام الامتحانات.

قالت وقد اصفر وجهها واخضر:

- وماله يا أخويا من عيني، ده أنت تشرف وتنور، البيت بيتك

والبنات زي إخواتك، ومكانش ليه لزمة التعب ده (تقصد الفلوس).

- أبدًا دي حاجة بسيطة والحكاية واحد، وربنا يديم المعروف، والله أنا ما رضيت أروح بيت عمي أو عمتي، وانتوا أقرب لينا من أي حد.

فقالت مرحبة:

- طبعًا يا خويا وهو ده عشمنا برضو، واعتبر نفسك في بيتك.

ثم قامت البنت الكبرى بإعداد طعام الغذاء بمساعدة أختها.

الكبرى في سن الزواج، حاصلة على دبلوم متوسط، والصغرى في الشهادة الإعدادية.

وبعد تناول الغذاء تم إعداد مكان لنومي داخل حجرة الوالدين!، مما جعلني أصمم على النوم بالصالة على (الكنبة البلدي).

وبدأت الامتحانات..

ولاحظت أن الست تعد لي طعامًا خاصًا مما يكبدها مصروفات أكثر، وبدأت أشفق عليها، حيث إن ذلك يفوق ما دفعته لها بكثير.

وكنت أستذكر دروسي في الصالة حتى ساعة متأخرة من

الليل، جالسًا على الكنبة البلدي وأمامي «ترابيزة» متواضعة ذات مفرش من القماش الباهت.

وكنت أبدأ السهرة بعد أن ينام الجميع ويعلو الشخير..

وعندما أدخل المطبخ أو الحمام كنت أسير على أطراف أصابعي حتى لا أتسبب في إزعاج أحد، وأحيانًا كانت البنت الكبرى تسهر معي وتعد لي الشاي والساندويتشات، وتكون مسرورة جدًا لقيامها بتلك المهمة..

وكانت لا تطلب مني أكثر من نظرة أو ابتسامة حلوة..

وكنت أحقق لها ذلك، ولكن في حدود، نظرًا لأنني كنت جادًا جدًا في معاملاتي وتركيزي في المذاكرة، حيث إن حصولي على مؤهل جامعي سوف يرفع من شأني ومركزي الوظيفي.

وكنت أضع لنفسي جدولًا يوميًّا للمذاكرة ألتزم به وأنفذه بكل دقة، وعندما يزورهم أحد من الأقارب أو الأصدقاء كنت أستأذن وأترك لهم الصالة، حيث لا يوجد حجرة للجلوس، وأدخل إحدى الغرفتين المخصصتين للنوم، وأغلق الباب، وأواصل المذاكرة ممددًا على السرير حتى ينصرف الضيوف..

وذات مساء زارنا زوج ابنتهم وتعرَّف عليّ، ومن أول وهلة أدركت أنه مسيطر على الأسرة بأكملها، وخاصةً البنت الكبرى

(الأصغر من زوجته)، وأحيانًا كان ينفرد بها وكأنها زوجته الثانية!، فلم أسترح له، كما أنه لم يسترح لي..

وبين الحين والآخر، يسلِّط عليّ نظرات الحقد والغيرة، ولم أعرف لذلك سببًا وهو الذي يراني لأول مرة.

وتكررت زياراته، ولم تحضر معه زوجته ولا مرة، رغم أنني أعرفها وتعرفني جيدًا منذ الصغر، وكنت متأكدًا أنها تتمنى أن تراني، حيث كانت إقامتهم في الفيوم بالقرب منا قبل مغادرتها القاهرة، بالإضافة إلى صلة القرابة، وكانت لنا ذكريات مشتركة.

وفي كل زيارة له للأسرة كان يسبب نكدًا للبيت كله وينصرف.

بدأ الاهتمام بي يقل تدريجيًا حتى وصل إلى أدناه، واستنتجت أن المذكور اعترض على وجودي معهم في بيت واحد، رغم أن (الست) كانت تتعشم (عشم إبليس في الجنة) أن أطلب منها يد ابنتها الكبرى بعد أن أنتهي من الامتحانات.

ولكن طموحي كان أكثر من ذلك بكثير، لذلك لم أنمِّ علاقتي مع البنت..

وفيما بعد فهمت أن المذكور كان يحضر للبيت في فترات وجودي بالامتحانات، ويصدر أوامره بضرورة التخلص مني في أقرب وقت ممكن، حيث إنه لا يصح وجودي مع البنات، ولا

يستطيع أحد عدم تنفيذ أوامره، فالجميع يخافونه، مغلوبين على أمرهم أمامه.

ولم أكن في يومٍ من الأيام ضيفًا ثقيلًا على أحد، ولذا لعنت الامتحانات والأيام التي دفعتني للاحتياج إليهم، ولم أرغب في الاستمرار على هذا الحال حتى نهاية الامتحانات، وفكرت مليًا في ترك البيت، ولكن متى؟ وإلى أين؟..

وعندما لـمَّحتُ بذلك لم أجد منهم أي مانع في مغادرة البيت، نظرًا للضغوط الشديدة التي عليهم من المذكور.

وخطرت لي فكرة ألا وهي أن أرجع إلى بلدي، وأحضر إلى القاهرة أيام الامتحانات فقط، وأرجع إلى الفيوم في نفس اليوم، وهي فكرة جيدة ولكنها مضيعة للوقت والجهد، ولكنها تحفظ لي كرامتي وكبريائي.. وقد كان.

وفي أحد الأيام وبعد أداء الامتحانات، توجَّهت إلى البيت وحزمت حقيبتي وانصرفت دون غذاء وبلا وداع...

وانقطعت علاقتي بهم من ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا.

السعد وعد

(١)

من إعلانات التليفزيون والجرائد والمجلات تعرَّفت على اسمه وعنوانه وصورته وأرقام تليفوناته، إنه رجل الأعمال الكبير ورجل البر والإحسان المعروف، ورئيس وعضو مجالس إدارة الكثير من الجمعيات الخيرية، وصاحب مصنع وشركة حلويات (البركة) بالقاهرة الجديدة.

إنه الحاج «حسان الشرباتلي» زميل المدرسة الثانوية.. والذي عمل والده معه المستحيل للحصول على الثانوية العامة، وتقدَّم للامتحان عدة مرات، وكان يحصل على أدنى الدرجات في جميع المواد!

وها هو الآن من رجال الأعمال، ونجوم المجتمع البارزين الذين يشار إليهم بالبنان.

ذات مساء وبعد تردد قررت زيارته في عنوانه في المركز الرئيسي

للشركة. وكانت مفاجأة عندما وجدني أمامه وجهًا لوجه دون سابق موعد، ولدهشتي أنه تذكَّرني على الفور. وسرعان ما نهض من جلسته وأخذني بالأحضان قائلًا والابتسامة تتسع على شفتيه:

- محروس!.. صديق العمر وحبيب القلب، فين أيامك الحلوة يا راجل؟

(طبعًا لم تكن حلوة ولا حاجة بالنسبة له) وانشغل بالرد على التليفون بينما سرحت أنا في الماضي وعادت بي الذاكرة إلى الوراء لأكثر من ثلاثين عامًا.

كنا مجموعة من الأصدقاء (في فصل ثالثة خامس) بمدرسة السعيدية الثانوية، وكان هو أقربهم إلى قلبي لأنه من أسرة بسيطة مثلي.

أنهى مكالمته وقطع شريط الذكريات.. ثم استأنف ترحيبه بي وسألني:

- قهوتك إيه؟

وطلب لي القهوة بالتليفون، واسترسل هو الآخر في عرض شريط الذكريات:

- ثلاثون عامًا يا محروس مرت بالسرعة دي!!

وهز رأسه ثم استطرد قائلاً:

- ثلاثون عامًا مرت بحلوها ومرها.

ثم سألني بنبرته الحزينة:

- طبعًا دخلت الجامعة يا محروس؟ أنت كنت مجتهد ومتفوق ولكل مجتهد نصيب.

- الحمد لله دخلت كلية التجارة واخدت البكالوريوس واتعينت في الحكومة من ساعتها.

ثم استطرد الحاج حسان قائلاً:

- وأنا زي ما أنت شايف كدة.. الحمد لله.

- ربنا يزيدك من نعيمه، أنت راجل صبور ومكافح وتستاهل كل خير.

- الحمد لله رب العالمين..

ولفت نظري اللافتة المعلقة خلف مكتبه والمكتوبة بحروف من ذهب (هذا من فضل ربي).

وبعد الانتهاء من فنجان القهوة هممت بالانصراف، ولم يوافق على انصرافي إلا بعد جهد جهيد، وكان مصرًا على اصطحابي

معه إلى المنزل لتناول الغذاء والتعرُّف على أسرته، ولكني اعتذرت ووعدته بتنفيذ رغبته في أقرب فرصة.

وكان قد أعطاني عنوان الفيلا التي يقيم فيها.

(٢)

عندما سمحت ظروفي وحسب الوعد، وفي إحدى الأمسيات قمت بالاتصال تليفونيًا بالحاج حسان لزيارته بالمنزل.

وفي خلال ساعة كنت معه بفيلته بالمعادي، وجدت أسرته بأكملها مجتمعة بالبهو الكبير لاستقبالي، وأخذ الحاج حسان يعرِّفني بأفراد الأسرة فردًا فردًا وهو في غاية السعادة والسرور قائلًا وهو يشير إلى زوجته:

- الحاجة قمر (وهي فعلًا قمر).. ابني الكبير ضياء مهندس مدني، وبيشتغل حاليًا بالسعودية.. وابني الصُّغيَّر حسن دكتور بشري بالحكومة.

ثم استطرد مشيرًا إلى ابنته وهو يداعب خدها الوردي:

- ودي الأمورة أخر العنقود سوسن طالبة بكلية الإعلام، وعايزة تبقى مذيعة بالتليفزيون يا سيدي.

وكانت وليمة العشاء خرافية، وقضينا أمسية ممتعة في حديقة الفيلا وكأنني أحد أفراد الأسرة الكريمة، وكان عتابهم شديدًا

لعدم اصطحابي أسرتي معي في هذه الزيارة، فشكرتهم مقدمًا لهم بعض الأعذار، واستأذنت بالانصراف وودعني الحاج حسان حتى الباب الخارجي طالبًا مني ضرورة مقابلته بالشركة غدًا لأمر مهم.

وأمر سائقه الخصوصي بتوصيلي إلى بيتي بحلون، وكانت الساعة قاربت على الحادية عشرة مساءً.

وفي مساء اليوم التالي ذهبت إلى الشركة لمقابلته، وتطرق الحديث إلى ذكريات الماضي البعيد للمرة الثانية..

وفي نهاية الحديث دحرج رأسه الصغير إلى مسند كرسيه الجلد وأسبل عينيه كمن يستريح بعد عناء طويل، وأخذ يتحدث عن نفسه، ويسرد تاريخ كفاحه الطويل الحافل بالفشل والنجاح في مجال التجارة، وكثيرًا من الأعمال الحرة بعيدًا عن الحكومة وفقر الحكومة، ثم استطرد قائلاً:

- أقولك إيه ولا إيه يا أستاذ محروس، مشوار طويل وصعب ومليان بالمتاعب، أوعى تفتكر الحكاية كانت سهلة.. وأخيرًا الحمد لله وصلت للي إنت شايفه بإذن الله وعونه أولاً وأخيرًا.

ونظرت إليه بكل فخر وإعزاز قائلاً بكل صدق:

- ربنا يزيدك من نعيمه، لكل مجتهد نصيب.

وعندما هممت بالانصراف طلب مني الانتظار قائلاً:

- إستني شوية يا أستاذ محروس أنت مستعجل ليه؟ إحنا لسه ما اتكلمناش في الموضوع اللي طلبتك علشانه.

وبعد أن أنهى مكالمة تليفونية مع أحد العملاء نظر إليّ بمودة قائلاً:

- شوف يا محروس يا أخويا، اسمحلي أن أقولك يا محروس حاف.

فابتسمت ووافقت بإيماءة مني ثم استأنف قائلًا:

- إنت عارف أنا بعزك أد إيه من زمان، وإنت عارف إني مليش أخوة والأولاد زي مانت شايف كل واحد في وادي وملهومش في التجارة، وبصراحة كدة ومن الأخر علشان ما اعطلكش أنا اخترتك تكون شريكًا لي– بمجهودك– في جميع أعمالي، لإني محتاج لواحد زيك أمين ومخلص ومحترم، ومش هلاقي أحسن منك، إيه رأيك؟

ومن شدة المفاجأة استولى عليّ الصمت فترة ثم أجبته قائلاً:

- أولاً أنا سعيد جدًا بالثقة دي، لكني لسه في الخدمة.

وضحك الحاج حسان ساخرًا ثم قال:

- في الحكومة يعني؟.. اسمح لي يا أخويا بدون إحراج، ممكن أسألك

بتاخد كام من الحكومة بعد العمر ده كله، لامؤاخذة يعني؟

فمصمصت شفتي ولم أنطق بكلمة (أقول إيه؟.. حاجة تكسف).

فاستطرد الحاج حسان قائلاً:

- يا سيدي رزق وجالك لحد عندك ترفضه؟، خليك معايا في الفترة المسائية لغاية ما تخرج على المعاش بالسلامة، وبعد كدة تبقى معانا طول الوقت، إيه رأيك؟، وافق علشان خاطري.

ولم يكن في وسعي إلا الموافقة عن طيب خاطر وسرور طالما أن الرجل وضع ثقته في.

ونهض الحاج حسان من جلسته وضمَّني إلى صدره مهنئًا:

- مبروك عليك وعلينا.. على بركة الله، إنت كنت فين من زمان يا راجل يا طيب؟، ربنا بعتك لي في الوقت المناسب، على الأقل أستريح شوية على حسك، وأنا مطمئن على أموالي، متنساش كمان إنك محاسب كبير.

وانصرفت على أن أبدأ العمل في مساء اليوم التالي إن شاء الله.

(٣)

وجدت في انتظاري حجرة مكتب خاصة بي، مجهزة على أعلى مستوى ولا مكتب وزير!، وكان أول توقيع لي على ورقة مطبوعة باسم شركة البركة للحلويات هي إقرار تَسَلُّم العمل بالشركة، وعلمت أنه تم تحديد مرتب شهري لي بصفتي مديرًا تنفيذيًّا، بالإضافة إلى نصيبي في الأرباح.

ولم أصدق نفسي، وكدت أطير من الفرحة، وكان هذا التقدير من دواعي اجتهادي وتفانيّ في العمل، لدرجة أن الرجل كان دائمًا يطلب مني عدم بذل كل هذا الجهد الكبير، ولكن ذلك كان على قلبي أحلى من العسل!، وكنت أشعر أن شبابي قد عاد إليّ ثانية.

وكان الحاج حسان اجتماعيًّا من الدرجة الأولى، واكتشفت من واقع المستندات أنه يتبرع للجمعيات الخيرية بصفة مستمرة، كما أنه يعطي في الخفاء للكثير من الأسر الفقيرة.

ومرت الأيام وعند إعداد أول ميزانية سنوية للشركة في وجودي

وبمشاركتي بصفتي محاسبًا متميزًا بالشركة لاحظ الحاج حسان وجود زيادة كبيرة في الأرباح لم تتحقق في السنوات السابقة، فأمر بمضاعفة المكافآت لجميع العاملين بالمصنع والشركة، وكنت أنا أولهم طبعًا.

ودعاني أنا وأسرتي لحضور حفل بمنزله بمناسبة انتهاء السنة المالية للشركة، وتحقيق زيادة في الأرباح.

وفي الموعد المحدد للحفل توجهنا إلى فيلا الحاج حسان، وكان عشاءً فاخرًا، طباخون وسفراجية وخدم وحشم.

وكانت أشجار الحديقة مرصعة بلمبات الكهرباء الملونة، مع تشغيل موسيقا هادئة، وكانت سهرة ولا في الأحلام..

وقام الحاج حسان بتعريفنا على جميع الحاضرين، كما عرَّفتهم على أسرتي، مشيرًا إلى كل منهم:

- الحاجة حسنية زوجتي، الدكتور خالد ابني، صيدلي بالكويت، بنتي الكبيرة هالة، اقتصاد وعلوم سياسية، و بتشتغل في وزارة الخارجية، بنتي الصغرى هيام، خريجة كلية الألسن ، وبتشتغل في شركة سياحة.

ومن أول وهلة أعجب ضياء بهالة، كما أعجب خالد

بسوسن، وكان تبادل النظرات والابتسامات واضحًا وملحوظًا أمام الحاضرين، وكنت أنظر في ساعتي بين الحين والآخر طالبًا من أسرتي الانصراف حتى يمكننا الحصول على قسط وافر من النوم والذهاب إلى العمل صباحًا، وكان الحاج حسان يعقِّب على ذلك قائلاً:

- يا سيدي الأيام والليالي الحلوة دي ماتتعوضش، ومحدش عارف الأيام الجاية فيها إيه.

وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية صباحًا، انفض الحفل وانصرف جميع الحاضرين.

(٤)

تقدَّم نجل أحد أصدقاء الحاج حسان، ويعمل صيدليًا بإحدى شركات الأدوية، وهو من عائلة عريقة لطلب يد سوسن، على أن يتم الزواج بعد تخرجها في كلية الإعلام، وطلب منه الحاج حسان مهلة للرد عليه.

وفي اليوم التالي تحدَّث الحاج حسان معي في هذا الأمر ليأخذ رأيي، فهو يعتبرني من العائلة، ولم يكن له أي هدف آخر، ولكني هززت رأسي ولم أعطه رأيًا.

وظهرت الحيرة على ملامحه وقال لنفسه: (وإحنا هنلاقي زي الناس دول فين)، على العموم ربنا يقدِّم اللي فيه الخير، ثم التفتُّ إليه وقلت بنبرة حزينة:

- نسأل عن العريس وأهله أولًا ثم الرأي الأول والأخير للبنت، وهي في الحقيقة تستاهل كل خير.

واستشف الحاج حسان من كلامي أنني أريد قول شيء آخر ولكنني متردد. وعلى العشاء أخبرت أسرتي بالموضوع عن العريس

الذي تقدَّم لسوسن، وعمت الكآبة على الأسرة بأكملها، فكان أملهم أن تكون سوسن لخالد وقلت مواسيًا:

- على العموم الموضوع لسه ما تمش فيه حاجة، ومش عارفين رأي البنت فيه إيه.

وقالت الحاجة حسنية:

- طب والعمل يا أبو خالد، البنت هاتطير منا، دول ناس حلوين، الراجل محترم، والست طيبة، والبنت مفيش كدة، الحق مش ناقصها حاجة، ثم سرحت قليلًا واستطردت:

- كل شيء قسمة ونصيب يا أم خالد، هانعمل إيه؟

وجلس خالد واضعًا يد على خده فقلتُ له:

- وإنت إيه رأيك يا ابني؟

فلم يرد عليّ فقلت:

- يا جماعة سيبوا الأمور تمشي لوحدها، وكل شيء نصيب.

فردت الأم محتدة:

- يعني نفضل ساكتين ونقول كل شيء نصيب؟!

ولم يعقِّب عليها أحد، وقضوا ليلتهم في حيرة وحسرة، ولم

يغمض لهم جفن.

وفي مساء اليوم التالي ذهبتُ إلى الشركة قبل موعدي، وكنت مُتلَهِّفًا لمعرفة النتيجة، وعندما حضر الحاج حسان أسرعت بسؤاله:

- خير عملتوا إيه يا حاج؟

فأجابني الحاج حسان بدهشة:

- عملنا إيه في إيه؟!

- في موضوع العريس.

- إنت مهتم أوي بالموضوع ده يا محروس؟

- طبعًا مهي زي بنتي ويهمني أمرها برضو.

- البنت رفضته نهائيًا.

- ليه كفانا الشر؟

- بتقول دمه تقيل، وماستريحتلوش.

فتنفست الصعداء وكسا السرور ملامحي، وكدت أنطق بطلب سوسن لابني خالد، ولكن الموضوع (عايز قعدة تانية).

(٥)

في يوم الإجازة قررت أن أعقد اجتماعًا مع أسرتي بشأن زواج خالد من سوسن، وللعجب أنني علمت بعد ذلك إنه في نفس اليوم كان الحاج حسان وأسرته كانوا في اجتماع بشأن طلب هالة لابنه ضياء.

ولكن خالد كان مترددًا بعض الشيء، حيث إنه قد صرَّح لأخته هالة بعلاقته بفتاة من عائلة مصرية، وهي تعمل معه في الكويت، ولكنه يفضل سوسن، وقد أعلن ذلك في اجتماع الأسرة.

وسأل والده قائلاً:

- ولكن الحاج حسان يوافق؟ (ولم يقل سوسن توافق، لأنه يعلم شعورها نحوه جيدًا).

وقلت أنا ووالدته بصوت واحد:

- وإيه المانع يا ابني؟ هو أنت ناقصك حاجة لا سامح الله؟!
- لا أبدًا بس دول ناس مستواهم جامد علينا.

- يا ابني مانت صيدلي أد الدنيا ودخلك كويس.

- طيب وهي توافق على الإقامة بالكويت؟

- توافق.. متوافيقش ليه؟ خلِّي الموضوع ده عليا، خلاص نتكلم مع الراجل؟

- ماشي يا بابا توكل على الله.

وفي الجانب الآخر تمت موافقة أعضاء أسرة الحاج حسان، وأولهم ضياء على طلب هالة له، وطلب هيام لابنه الأصغر الدكتور حسن.

وفي نهاية الجلسة نهض الحاج حسان قائلًا:

- مبروك يا أولاد ربنا يتمملكم بخير.

وفي اليوم التالي وقبل أن أنطق بكلمة سبقني الحاج حسان في طلب ابنتيَّ هالة وهيام لابنيه ضياء وحسن، فوافقت بلا تردد، خاصة أنني قد أخذت رأيهما مسبقًا!!

ثم قلت:

- إحنا نستاهل يا حاج؟ ده شرف كبير لينا.

فأجابني:

- إحنا واحد يا أستاذ محروس.. إحنا نتشرف بيكم، وعمومًا إحنا مش هنلاقي أحسن منكم، وطلباتكم أوامر، وماتحملش أي هم.

ثم لاحظ الحاج حسان أنني أريد أن أقول شيئًا فبادرني قائلاً:

- اتفضل قول اللي أنت عايزه.

فتشجعت وقولت:

- وأنا كمان يا حاج ليا عندك طلب.
- اتفضل يا أخويا قول.
- ممكن نطلب الآنسة سوسن لابني خالد؟

فضحك الحاج حسان بسعادة غامرة قائلاً:

- نشوف الموضوع ده، وربنا يقدم اللي فيه الخير.

وفي خلال يومين جاء الرد بالموافقة، وذلك بعد أخذ رأي البنت، ولم يتبق إلا تحديد موعد الخطوبة، وامتلأ منزلهم بالفرح والزغاريد.

(٦)

انتهى العام الدراسي وانتهت امتحانات كلية الإعلام، وظهرت النتيجة، ونجحت سوسن بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وكانت الأولى على دفعتها.

وسرعان ما تم تعيينها بقناة «الشمس» التليفزيونية، وهي قناة معروفة يمتلكها رجل أعمال شهير، وبعد انتهاء مدة التدريب أسند إليها تقديم برنامج (السعد وعد)!

وذات مساء رجع الحاج حسان إلى منزله في غير موعده، فدهش الجميع لأن ذلك لم يحدث مطلقًا إلا في حالات الضرورة القصوى، وغيَّر ملابسه وارتدى أحدث بدلة وأحدث كرافته عنده، وقال لزوجته:

- ابقوا افتحوا التليفزيون الساعة ١٠ على قناة الشمس.

فقالت الحاجة وهي ما زالت مندهشة:

- ما إحنا كل أسبوع بنشوف الحلقة اللي بتقدمها البت، إيه الجديد يعني يا حاج؟

- أبدًا أبدًا سلام عليكم.

وفي العاشرة مساءً قامت الحاجة قمر بتشغيل التليفزيون وكانت المفاجأة، حيث ظهرت سوسن الإعلامية الواعدة وهي تطل من الشاشة الفضية، ثم قدَّمت ضيف الحلقة وابتسامتها الساحرة تملأ وجهها قائلة:

- مساء الخير عليكم جميعًا، اسمحوا لي أن أرحب بضيفي الكريم، رجل الأعمال الكبير، ورجل البر والإحسان المعروف الحاج حسان الشرباتلي.

وكان البرنامج على الهواء مباشرة، وصفق الحاضرون تصفيقًا حادًا، فمن لا يعرف الحاج حسان الشرباتلي؟، ولكن البعض لا يعرف أنه والد المذيعة سوسن.

وبدأت تحاوره بذكاء خارق، وعرفت عنه أشياء لم تكن تعرفها من قبل رغم أنه والدها، حيث تحدث عن مشواره الطويل مع الكفاح والطموح منذ أن ترك المدرسة الثانوية، وبداية عمله بالتجارة والأعمال الحرة، إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن.

وانتهت الحلقة بالتصفيق الحاد أيضًا.

عروسة في المزاد

كانت تطلب توافر مواصفات وشروط معينة في العريس المنتظر، وقد رفضت كثيرين ممن تقدموا لها لعدم توافر كل ما تطلبه، ومنهم مليونير (أعور) من جيرانهم، فقد إحدى عينيه في حادث سيارة، كما فقد عروسة في شهر العسل في نفس الحادث.

تمكن من تركيب عين صناعية لا تختلف عن العين الطبيعية إلا في عدم الإبصار.

وطبعًا بصفته من جيرانهم فهي تعرف عنه كل هذه التطورات.

يمتلك عمارة ومحلًا كبيرًا لقِطَعِ غيار السيارات، ويسافر بنفسه لكثير من الدول مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا والصين لاستيراد قطع الغيار.

وهو أيضًا رئيس شعبة تُجَّار قطع غيار السيارات في الغرفة التجارية.

ولكنها رفضته...

جاوز عمرها التاسعة والعشرين، ولها أختان في سن الزواج، ولم تعمل لهما حسابًا، حيث إن التقاليد في بلدنا تقضي بزواج البنت الكبرى أولاً.

ولم تقتنع لأن كل ما تطلبه قلما يتوافر في شخص واحد، تحظى بقسط وافٍ من الجمال، وتشغل وظيفة محترمة بإحدى شركات الاستثمار بعد حصولها على بكالوريوس التجارة.

وأخيرًا ظهر العريس الذي تحلم به، ووافقت عليه ووافق عليه الأهل. وهو غريب عن العائلة، فقد كان ضمن شروطها عدم الزواج من الأقارب.

وتمت الخطوبة بسلام وبدأت فترة الاختبار..

كان العريس يعمل بمصلحة الضرائب، أي أن دخله محترم، ولكنه يعول والدته وإخوته بعد وفاة والده.

عرِفته عن طريق إحدى صديقاتها، وكان من أهم شروطها التي تحققت فيه الوسامة والطول والعرض وخفة الظل.

كان يزورها مرة في الأسبوع بسيارته الخاصة، بخلاف أيام الأعياد والمناسبات، وكانت الأسرة تستقبله ببشاشة، وتقدِّم له ما لذَّ وطاب.

وطبعًا خلال فترة الخطوبة اكتشف كل منهما في الآخر بعض العيوب والكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

ولكنها عيوب بسيطة، لا تعوق إتمام الزواج.

وبدأت مرحلة الإعداد للزواج بعد بضعة أشهر من الخطوبة حسب الاتفاق.

وكان هناك خلاف حول الشقة، فهي تريد شقة تمليك، وهو يريد شقة إيجار مؤقتًا لحين تدبير أموره، ثم إنه لم يتم الاتفاق على شراء شقة منذ البداية، ولكنها أصرَّتْ على رأيها.

فوعدها بأنه سوف يحقق لها رغبتها، ولكن بعد زواج إخوته البنات.

واكتشف أنها عنيدة وغير متفاهمة، ولما كان يطلب منها زيارة بعض أقاربه كانت ترفض بشدة دون إبداء الأسباب، فبدأ الخلاف يدب بينهما.

وذات يوم اصطحبها إلى أحد الأبراج السكنية الحديثة القريبة من منزلهم وعرض عليها شقة (على المحارة)، فأعجبت بها، أخبرها أن المالك سوف يشطبها خلال شهر أو شهرين على الأكثر، وأنه اتفق معه على كل شيء ودفع له العربون.

ومرت شهور ولم يتم البدء في تشطيب الشقة، فغضبت منه وبدأت تشك في صدق كلامه قائلة له:

- إنت بتضحك عليّ؟!، وإيه يثبت لي إنك اتفقت مع حد على شراء هذه الشقة؟

وفي دهشة أخرج من جيبة إيصال أمانة بمبلغ مائة ألف جنيه وقدَّمه لها، فقرأته وهزَّت رأسها قائلة:

- وإيه يعني إيصال أمانة!؟، ده إيصال تَسَلُّم مبلغ من فلان وتسليمه لفلان، ومذكرش أي شيء عن الشقة، يعني لو كان كويس ممكن في أي وقت يرميلك فلوسك ويقولك مع السلامة، وإن كان نصاب يبقى عوضك على الله، ليه مخدتنيش معاك لما روحت تتفق معاه مش أنا هبقى شريكة حياتك برضو؟

وأخيرًا نطق وقال لها بنرفزة:

- يعني إنتي بتشكي في؟ لازم يكون فيه ثقة بينا.

فقالت هي الأخرى بنرفزة أكتر:

- لا يا سيدي يفتح الله مينفعنيش الكلام ده لازم تشركني في كل حاجة من هنا ورايح.

وكانا خارج المنزل في يوم عطلة، واشتدت المناقشة بينهما في نفس الموضوع، فتعصبت وخلعت الدبلة من أصبعها، وألقت بها في وجهه دون استئذان، فلم يسأل عنها، ولم يجرِ وراءها.

الحقيقة إنه بعد هذا الموقف (نفسه اتسدت منها)، وفكَّر في فك الخطوبة، لكنه أعطى لنفسه ولها مهلة قبل اتخاذ هذا القرار، وبعد عرض الأمر على الكبار.

ومرت أيام ولم يتصل بها أو تتصل به، ودخل الشيطان بينهما.

ولكى يُرضي ضميره اتصل بوالدها وأخبره بما حدث منها، وكان يتحدث وهو في غاية الانفعال، لكن الرجل هدَّأ من روعه، ووعده بأن كل شيء سوف ينصلح.

وبعد مدة اتصل به والدها وأخبره بأن البنت مصرَّة على رأيها، ثم استطرد الأب قائلاً:

- ده يا ابني موضوع يخصكم، وأنا مليش دخل فيه.

وأنهى المكالمة.

وتدخل الأهل من الطرفين، وتم الصلح بينهما، كما تم الاتفاق على تأجير شقة مؤقتًا لإتمام الزواج، نظرًا لمماطلة المالك في تشطيب الشقة، والله أعلم إذا كان كاذبًا أو صادقًا.

فتم تحديد موعد «كَتْبِ الكتاب» والزواج في نفس الليلة، حيث إن الأمر لا يحتمل تأخيرًا أكثر من ذلك.

وكان حفلًا عائليًا بهيجًا بحضور الأهل والأحباب بفندق خمسة نجوم.

وكانت حركة العُمَّال دائبة في إعداد البوفيه المفتوح، وحضر المأذون وحضرت العروس، ولم يحضر العريس!

مر وقت طويل، ولم يحضر العريس، وبدأ المعازيم يتململون، وكان الحرج والخجل واضحًا على وجوه الطرفين.

بدأ «الجو يتكهرب والتليفونات تشتغل»، وكان تليفون العريس مغلقًا (أو لم يتم الرد).

ورأى أهل العروس أنه لا يمكن التأجيل، وسوف يكون هناك حساب عسير وميعاد عرب وغرامة كبيرة، كيف يحدث هذا التصرف الأهوج إن لم يكن هناك عذر قهري، ولا أحد يعرف سبب تأخير العريس حتى الآن، وإلى متى يتم الانتظار والمأذون مرتبط بمواعيد أخرى.

وهمَّ المأذون بالانصراف معتذرًا، ولكنهم أقنعوه (بالعافية) ووقف أحد الأصدقاء المقربين لوالد العروس وأمسك بالمايك قائلًا بعد استئذان وموافقة العروس ووالدها:

- اسمعوا يا جماعة من فضلكم، اسمعوني لو سمحتم...

فصمت الجميع واصغوا آذانهم للسمع، فاستطرد الرجل قائلاً:

- طبعًا إحنا في موقف صعب وحرج للغاية، وكلكم لاحظتم ده، والعريس ماحضرش لحد دلوقت، وإحنا بنطلب أولًا من المولى عز وجل إن يكون المانع خير رغم كل شيء!، ولكن ما ينفعش نأجل أو ننتظر أكتر من كده، اسمحوا ليا إني أعلن وأعتقد إنكم هتأيدوني في اللي هقوله.. أنا بأعلن قدام الحاضرين إن اللي عنده الشجاعة والاستعداد عليه إنه يتقدم بدل العريس إنقاذًا للموقف.

وعم الصمت والذهول بين الحاضرين، بينما حدثت عاصفة من التصفيق والتهليل بعد قليل!، دليلًا على الموافقة.

وفي الحال تقدَّم واحد ممن سبق رفضهم من قِبل العروس، فرفضته للمرة الثانية!

ثم تقدَّم آخر فرفضته أيضًا!!

ثم تقدَّم ثالث وكان المليونير الأعور، فوافقت عليه دون تردد.

وكانت عاصفة أخرى من التصفيق والزغاريد، عندما قام والد العروس بتسليمها للعريس، ثم قام المأذون بكتب الكتاب، وحصل

على ضعف أتعابه، وتم الاتفاق على مقدم ومؤخر الصداق، وقامت فرقة موسيقية من الفندق بزفة العروسين، وانسحب أهل العريس السابق وأصدقاؤه واحدًا وراء الآخر منكسي الرؤوس ودون عشاء!

ولم تكن هناك فترة اختبار بين العروسين.. (طاب ما كان من الأول!).

فاقد الشيء!

هي طالبة بكلية الحقوق جامعة القاهرة..

وقد التحقت بالحقوق بناءً على رغبتها، وحبها الشديد للقانون رغم حصولها على مجموع كبير بالثانوية العامة..

وهو رجل أعمال كبير رغم صغر سنه، وصاحب محلات للأدوات الصحية، ومصنعٍ للسيراميك..

وقد حقق ذلك بعد مجهود وكفاح طويلين.. فقد بدأ حياته العملية كعامل بسيط متنقلًا بين محلات الأدوات الصحية الكبرى، وقد فشل في التعليم منذ المرحلة الابتدائية..

لم يكن يعرفها ولا تعرفه..

تقدم لخطبتها عن طريق أحد أقاربها الذي شجعه على ذلك.

كان هناك معارضون ومؤيدون، لعدم تكافؤ المستويين: الاجتماعي والتعليمي، ولكنه تقدَّم لخطبتها مستندًا إلى ثروته وشطارته ومركزه المرموق في سوق الأدوات الصحية. وقد كان

يقتني سيارة أخر موديل (على الزيرو!)، ويمتلك برجًا سكنيًا في حي المهندسين، بالإضافة إلى رصيده الكبير في البنوك، لدرجة أن البعض كان يظن أنه يتاجر في (الممنوع)!

وأخيرًا، وبعد الضغط الشديد من الأسرة على البنت وإقناعها بأن هذا الزمن هو زمن (الفلوس)، وليس زمن الشهادات والمناصب... وافقت.

وافقت ولكن بشرط ألا يتم الزواج إلا بعد حصولها على الليسانس.

ووافق العريس..

وتمت الخطوبة في حفل بهيج على ضفاف النيل بحضور لفيف من رجال الأعمال، وكبار العاملين بالدولة!

وخلال فترة الخطوبة كان يصطحبها إلى النوادي والمحلات الفخمة التي لم تدخلها من قبل..

وكثيرًا ما كانت تخجل من ملابسه بألوانها (الفاقعة) وغير المتناسقة.. حاولت أن تصلح من ذوقه ولكن بلا جدوى.. ونادرًا ما كانت تصطحبه لزيارة أهلها خوفًا من النقد!

وذات مساء قاما بزيارة خالها، وهو وكيل وزارة بالجهاز المركزي للمحاسبات، ويقطن في مصر الجديدة، وعنده ثلاث بنات

جامعيات، ولا يعجبهن العجب!، لذا كانت تحمل هم زيارتهن!

رحن يتفرسن في هندامه وقصة شعره، والأسورة الذهبية التي في معصمه، والعقد الذي يتدلى على صدره، ويتغامزن لبعضهن في غفلة من العروسة!

ولم ينطقن بكلمة، بل كن ينصرفن لتفريغ شحنة الضحك، ويعدن إلى مجلسهن.

انتهت الزيارة وهمّا بالانصراف بناءً على طلبها، ولم يكن من الخال إلا تأنيب بناته على ما فعلنه في حضور ابنة عمتهن وعريسها..

وفي المقابل كان يصطحبها لزيارة أقاربه، وهذا كان يضايقها، وكأنه كان يعرض عليهم الفتاة الجامعية التي (اشتراها بفلوسه)!

قام بتشطيب شقة «سوبر لوكس» ببرج المهندسين، ونظرًا لإلحاحه الشديد تزوجا قبل أن تنهي دراستها بالكلية!

وبعدها سافرا إلى سويسرا لقضاء شهر العسل، وبدأت (الفيران تلعب في عبها)، من أين يأتي بكل هذه الأموال؟!

وكان يقول لها:

- أنا دايمًا أنزل هنا سويسرا.. بلد جميلة!

وقضيا هناك أجمل أيام حياتهما في أحضان الطبيعة الساحرة..

التقيا في سويسرا عن طريق الصدفة بأحد أقارب العروس الذي هاجر منذ حوالي عشرين عامًا، ويعمل مهندسًا مدنيًّا.

قام هذا القريب بـ(عمل الواجب) معهما، وعرَّفهما على الكثير من المعالم السياحية هناك، وعادا إلى الوطن بعد قضاء شهر كاملٍ بسويسرا، وذلك بعد الكثير من الخناقات والخلافات بسبب وبدون سبب!

بدأ يشعر بالفارق الكبير بينهما.. وبدأت الغيرة تأكله والحقد يملأ قلبه رغم ما هو فيه من ثراء.. وهي التي تعامله بكل ذوق ورقة، ولم تحاول أن تجرحه أو توجه له أي نقد، خاصةً في حضور الغرباء، رغم أن معظم تصرفاته كانت غير لائقة، وكانت تثير حفيظتها!

بدأ العام الجامعي الجديد، وكانت مستعدة منذ اليوم الأول، وراحت تذهب إلى الكلية بانتظام، وكانت علاقاتها واسعة بالطلاب والأساتذة والمعيدين، تحرص على اقتناء الكتب والمذكرات فور ظهورها بالمكتبة.. وتسجل المحاضرات في وقتها، كما قامت بوضع جدولٍ للمذاكرة.

اشتدت غيرة زوجها، وأخذ يحاربها بكل الطرق ليعطلها عن الدراسة!، وكان يسألها دائمًا:

- لازمتها إيه الكلية؟ وإيه فايدة تضييع الوقت في الكلام الفاضي؟ هو إنتي ناقصك حاجة؟

ولم تكن ترد عليه!

كان يسرق الكتب والمذكرات من مكتبها ويخفيها عنها أو يمزقها أو يحرقها!!

فما كان منها إلا أن تبتاع غيرها من المكتبة، وكانت مُصرة على مواصلة الدراسة حتى النهاية.

كما كان يمنعها من الاتصال بزملاء الدراسة حتى لا تستطيع متابعة ما قد يفوتها من محاضرات بسبب تعب الحمل، أو في الأيام التي كان يمنعها فيها من الذهاب للجامعة!

ورزقا بأول مولود!، فكانت حجته قوية في أن يجعلها تترك الكلية أو تقدم اعتذارًا حتى تتفرغ لتربية الطفل، ولكنها رفضت بشدة!

فكان يشكوها لكل من يقابله..

واستأنفت الذهاب للكلية بعد عشرين يومًا فقط من الولادة، حاملة معها أكياس السبوع!..

ورغم هذا التحدي الصارخ فقد كانت متفوقة وتنجح في

كل «تيرم» بتقدير جيد جدًا، فلم يكن أمامه إلا تهديدها بالانفصال!

وكانت تلقى التشجيع والتقدير من الأساتذة حتى حصلت على الليسانس بتقدير جيد جدًا..

سرعان ما التحقت بمكتب أحد المحامين الكبار من أساتذتها لهدف التدريب، فزادت الطين بلة!

اهتم بها الأستاذ، وكان يقوم بتدريبها بنفسه، ويصطحبها معه إلى المحكمة في القضايا المختلفة، وتم قيدها بجدول المحامين، كما قدمت للحصول على الماجيستير.. ونظرًا لمواظبتها على الدراسة والتدريب بالمكتب، اضطر الزوج لتعيين مربية لتربية الطفل والاهتمام به.

وكانت دائمًا تنتقد تصرفات المربية مع الطفل فكانت– حسب تعبير زوجها– (لا ترحم ولا تخلي رحمة ربنا تنزل!).

وراح يهددها من جديد بالانفصال لو استمرت على هذا الحال.. وعندما بدأت تحس بقرب (خراب بيتها)، حيث إن الأمر دخل في مرحلة الجد، وكان بعض أقاربه يشجعونه على التصرف الجاد معها، كما كان أهلها وأصدقاؤها المخلصون يحذِّرونها من الاستمرار في عنادها، فكرت في حل وسط يرضي

جميع الأطراف، كما يرضي طموحها..

فكرت في فتح مكتب خاص بها في شقة بالبرج الذي يقيمون به.. وقابل زوجها الفكرة باقتناع حذر!

وفعلًا تم افتتاح المكتب..

وواصلت العمل والدراسة معًا، وكانت تبذل جهدًا مضاعفًا حتى لا تهمل الزوج أو البيت أو الطفل، وحتى ترضي زوجها الذي لم يرفض لها طلبًا.. فهو كريم وطيب القلب رغم كل شيء!

ومرت الأيام سريعًا وأنجبا طفلًا آخر (في وسط هذه الزحمة!)، وحصلت على الماجستير ثم الدكتوراه في القانون المدني.

وكان الزوج في منتهى السعادة أثناء حضوره مناقشة الرسالتين!

وبدأت تتفرغ شيئًا فشيئًا لطفليها.. فقامت بتعيين وكيلين لها بالمكتب بخلاف الموظفين والطلبة الذين أتوا بهدف التدريب، وأصبحت من أكبر المحامين المعروفين، وتوافد على المكتب كثيرٌ من المتقاضين، وكانت تكسب جميع القضايا التي تقدم إليها وتقبلها!

وما التوفيق إلا من عند الله..

يا من أحبه وأكرهه

وصلت المدرج بعد بداية المحاضرة الأخيرة، وحتى لا تلفت الأنظار إليها جلست في أقرب مكان للباب مضحيةً بمكانها المعتاد بين الزملاء والزميلات، وجاءت جلستها بجواره..

لم يعرها أدنى اهتمام وقرأت على ملامحه الاتزان وقوة الشخصية وهي خبيرة في هذه الأمور..

كان يفتقر إلى الأناقة في مظهره وتناسق هندامه، التقطت عيناها اسمه من أعلى غلاف كتاب كان أمامه (حسام الدين علي أحمد).

وأخذت تهمس له باسمه مستفسرة عن بعض نقاط في موضوع المحاضرة، وكان يجيبها بكل جدية، وهو يعلم أنها تريد الحديث معه من أجل الحديث فقط..

وعندما أدركت أنه بدأ يتململ من كثرة أسئلتها الساذجة وهو منهمك في تلخيص المحاضرة، كفت عن محادثته بعد أن رمقته بنظرة غيظ!

وبعد انتهاء المحاضرة اقترَبَت منه أكثر وهو يستعد للانصراف حتى كادت أن تلتصق به، فلفحه عبيرها الساحر وجذبه جمالها الأخَّاذ، كانت ترتدي بنطلون جينز (أخضر)، وبلوذة رقيقة حمراء اللون غاية في الأناقة، وشعرها الأصفر اللامع ينساب على كتفيها كسلاسل من ذهب..

ولم يلتفت إليها أحد، فالكل مشغول مع زميل أو زميله.

عرَّفته بنفسها دون طلبٍ منه (كريمة)، فجاء رده باقتضاب قبل أن تكمل باقي الاسم:

- أهلًا.

ونادت عليها إحدى الزميلات، ثم تبعها باقي الشلة فاستأذنته ومضى الجميع كلٌ في طريقه.

وعند بلوغه الباب الخارجي للكلية، لمحها تركب مع إحدى زميلاتها سيارة ملاكي لأحد الطلبة، فمصمص شفتيه مواصلًا السير إلى محطة الأتوبيس..

وفي اليوم التالي وهو يمر من أمام المكتبة، لمحها بصحبة مجموعة من الطلبة وهي تتحدث وتقهقه، وقد التفت يدها حول خصر أحدهم مما لفت إليهما الأنظار، وأسرع الخطى حتى لا تلحظه،

ولكنها سرعان ما تركت الشلة ولحقت به ونادت عليه طالبةً منه محاضرة الأمس، ووعدها بأنه سوف يحضر لها نسخة منها غدًا، وواصلا سيرهما معًا حتى المدرج.

وجلست بجواره، ولكن هذه المرة نادت عليها زميلة أخرى فتجاهلتها، وبدأت الأنظار تركز عليهما، كانت تهمس له وتميل عليه بطريقة فاضحة!، وكأنها وجدت فيه الرجولة المفقودة لدى الكثيرين من الطلبة!

كما أنها وجدت فيه فتى أحلامها، رغم الفارق الواضح بينهما في الشخصية وفي المستوى الاجتماعي.

وعندما بدأت تتحرك فيه غريزة الغيرة، سألها عن مدى علاقتها بالطالب الذي ركبت سيارته، والآخر الذي كانت تلف يدها حول خصره، فأجابته بمنتهى البساطة إنهما زملاء ليس أكثر، وما كان منه إلا أنه مصمص شفتيه متعجبًا.

راح يراقبها حتى تأكد من أنها متحررة جدًا ومتعددة العلاقات مع شبان الكلية دون هدف محدد، ولكنها مصرَّة على التمسك به رغم أنه ريفي وفقير، ولا يملك سيارة ولا أبهة مثل معظم الطلبة.

ذات صباح تعرَّض له أحد أصدقائها المقربين جدًا داخل حرم الجامعة واسمه (صلاح) ونصحه بالابتعاد عنها تمامًا وإلا...

ومن العجب أنه بعد هذه الخناقة تمسك بها، واقترب منها أكثر وأكثر، وكأن ذلك كان لمصلحتها، فهي التي تحبه من كل قلبها وقد سبقت وصرّحت له بذلك.

ولما تكرر ركوبها سيارات الطلبة بعد انتهاء اليوم الدراسي، بل إنه لمحها مرة بصحبة أحدهم في سيارته الفيات وهو يسير في اتجاه شارع الهرم..

ولم تحضر كريمة للكلية ثاني وثالث ورابع يوم، وفي اليوم الخامس سمع همسًا بين الطلبة يفيد بأن زميلهم (حسني) قد لقي مصرعه في حادث سيارة في طريق الهرم، حيث إنه كان يسير بسرعة جنونية واصطدم بشجرة، وأن زميلتهم (كريمة) كانت معه، وهي حاليًا ترقد في مستشفى الهرم في حالة سيئة للغاية، وكان بعضهم يطالع جريدة الأخبار التي ورد بها هذا الخبر في صفحة الحوادث.

أما عن صاحبنا فما كان منه إلا أنه راح يضرب كفًا بكف ولم ينطق بكلمة..

وكان هو أول من زارها بالمستشفى، وبعده توالت زيارات الطلبة والطالبات وبعض الأساتذة لها..

اقترب موعد امتحان «الترم» نهائي كلية الصيدلة، ولخطورة حالتها ظلت تحصل على إجازات مرضية حتى نهاية العام

الدراسي، وضاع منها امتحان «الترم»..

بعد أشهر تماثلت للشفاء وخرجت من المستشفى، وبدأت تطارده بالتليفون، أولًا كان العتاب لأنه لم يزرها بالمستشفى إلا مرة واحدة خلال هذه المدة الكبيرة، ثم دخلت في موضوعات أخرى كان من بينها أن ابن عمها وهو طبيب بشري قد تقدم لخطبتها، ولكنها لم توافق لأنها لا تحبه، وأنها لا تحب غيره هو.

أما هو فصرّح لها أكثر من مرة بأنه غير مستعد حاليًا للزواج، وأنه في بداية الطريق، وأنه لا يملك من متاع الدنيا إلا بكالوريوس الصيدلة.

وكانت نتيجة البكالوريوس قد ظهرت، وقد نجح بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى..

وقد علم بعد ذلك أن ابن عمها قد تقدَّم لها فعلًا، وهو طبيب شاب ميسور الحال، ويعمل حاليًا مع خاله الطبيب المشهور في عيادته الخاصة بوسط البلد، ولكنها رفضته..

وأخذ يبحث في نفسه عما يميزه عن ابن عمها أو غيره، ومن وجهة نظره فلم يجد شيئًا..

إنسان ريفي بسيط من أسرة فقيرة، كان يحصل على تكاليف دراسته حتى الانتهاء منها بقدرة قادر، له من الإخوة والأخوات

خمسٌ في مراحل التعليم المختلفة، تتعايش الأسرة من معاش والده الذي يتقاضاه بعد خدمة أربعين عامًا، ولا دخل آخر غيره، والمعاش لا يكفي القوت الضروري..

فكيف ومن أين يتزوج ويفتح بيتًا؟، وأخيرًا وهو يحدث نفسه وبدون قصدٍ منه، خرجت من فمه عبارة (الصبر مفتاح الفرج).

ما زالت تطارده باتصالاتها التليفونية، فالعام الدراسي قد أوشك على الانتهاء ولم تتمكن من مقابلته، فقد التأمت جراحها تمامًا ولا استجابة منه، والحق إنه أحبها من كل قلبه ولكن (ليس بالحب وحده يحيا الإنسان).

وبعد أشهر قليلة تم تعيينه معيدًا بكلية الصيدلة، وكانت فرحته لا تُقدّر، فهو مجتهد ومتفوق وسوف يتقدم بأوراقه للحصول على درجة الماجستير ثم الدكتوراه..

وعلمت من إحدى زميلاتها بخبر تعيينه معيدًا في الكلية، وكانت فرحتها هي الأخرى لا تُقدر بثمن، وسارعت بالاتصال به لتبارك له، وهذه المرة رد عليها وكان يتحدث معها باهتمام بالغ، وصارحها بأشياء كثيرة، ولكنه لم يسبق الأحداث.

وبدأ العام الدراسي الجديد، وتسلم عمله معيدًا بالكلية، وأثناء ذلك تعرَّف على معيدة معه (اسمها ليلى)، وكانت غاية في الرقة

والجمال، وأعجبت به وأعجب بها من أول نظرة، واتضح أنها من أسرة محترمة ووالدها أستاذ بكلية الطب في نفس الجامعة ويُدعى (حمدي عبد الفتاح).

ولما كان دائمًا يضعف أمام المستويات العالية، فكان يحاول الابتعاد عنها، بينما كانت هي تقترب منه وتتحدث معه في موضوعات شخصية دون تكلّف، وكان يرد عليها بكل صراحة، فكانت تتعلق به أكثر..

في أحد الأيام سألته بكل جرأة:

- إنت مرتبط يا حسام؟

(أهو ده السؤال اللي أنا خايف منه!).

إن قال نعم سوف تبعد عنه، وإن قال لا سوف تقترب منه أكثر فأكثر رغبة في أن ترتبط به (وهو مش أد الناس دي).

وبعد تردد قال لها:

- الحقيقة أنا مابفكرش في الموضوع ده دلوقت.

- أمال إمتى هاتفكر فيه؟

- يعني قدامي شوية كدة لما أستعد.

- تستعد من ناحية إيه؟، مانت الحمد لله نجحت بتفوق واتعينت بالكلية، ولا مش مستعد ماديًا يعني؟، مهو فيه عرايس كتير بتقوم بكل حاجة.

- لكني مش موافق على الزواج بهذه الطريقة، دي مسألة كرامة.

- يا سيدي.. خليك سهل شوية، المثل بيقول (المليان يكب على الفاضي)!

ونظر إليها بإعجاب وابتسامة قائلًا في نفسه (دي باين عليها واخدة الموضوع بجد!)، وأدرك ما تقصده.

أما عن البنت كريمة فما زالت تطارده باتصالاتها، ووجد نفسه في حيرة بين الاثنتين.

الأيام تجري ولا بد أن يحدد مصيره، حتى على الأقل في اختيار إحداهما، وكلتاهما على أتم استعداد على تحمل نفقات الزواج، ما عدا الشقة (وآه من الشقة!)، الإيجارات نار والتمليك ولا في الأحلام، وازدادت حيرته.

وقال في نفسه (يا سيدي اركن كرامتك على جنب شوية لغاية ما تتجوز).

طب والمستوى الاجتماعي؟ (المهم المستوى العلمي، وإنت

ذنبك إيه، أنت عملت اللي عليك ووصلت لمركز علمي كويس واللي جاي أحسن بإذن الله).

ثم يستطرد: ربنا سبحانه وتعالى لم يخلق كل الناس أغنياء، المهم القبول (يا عم دي فرصة العمر، كون البنت لمحت لك بصراحة، يلا خد خطوة إيجابية والتساهيل على الله).

ويتسرب الخبر إلى علم (كريمة) وهي التي لا تنام الليل من التفكير فيه وفي مستقبلهما معًا، وبدأت تكرهه وتكره سيرته..

ولما كانا يلتقيان هو وليلى دائمًا في المعمل، كانت لا تفارقه، وعند الانفراد بها كان يعبِّر لها عن شعوره ناحيتها وهي تبادله نفس الشعور..

وعلم منها أنه قد سبق وتقدَّم لها أستاذ مساعد بالكلية، وكان معجبًا بها أيما إعجاب، ولكنها رفضته لكبر سنه، فهو يقترب من سن والدها!

وعمل المستحيل ولكن بلا جدوى..

وسرعان ما اتصلت بها كريمة تليفونيًا لتبارك لها على العريس!

فكان ردها:

- أبدًا مفيش حاجة من الكلام ده، أبدًا ده زميل زي أي زميل آخر.

فدخلت الطمأنينة قلبها بعض الشيء، رغم أنها لم تصدق فقد انتشر الخبر في الكلية بسرعة البرق..

وقالت في نفسها (الأيام بيننا).

وذات يوم، صارح أسرته بما يجول في خاطره (وهم ناس غلابة وعلى أد حالهم)، ففرحوا بهذا الخبر، وشجعوه للتقدم لخطبتها في أسرع وقت، وقالت الأم:

- وماله يا ابني، البنت مادام شرياك، إتقدم ومين يلاقي فرصة زي دي ويرفضها؟.

وعقد العزم على التقدم لها وأخبرها بذلك، وقد لمح لها عن ظروفهم المالية والاجتماعية، ولكنها رحبت به.

واصطحب والده وذهب إلى منزل ليلى بناءً على موعد مسبق، وكان استقبال والدها له فاترًا للغاية!، خاصةً عندما رأى والده بجلبابه البلدي المتواضع..

وكان والده في نص هدومه من هذه المقابلة، المثل بيقول (لاقيني ولا تغديني!).

ولم تظهر العروس، حيث قدَّمت الخادمة التحية لهما، وبالطبع لم يسأل حسام عنها، وبدأ والدها يستجوبه:

- أمال فين الست الوالدة؟

فأشار مرتبكًا إلى والده الجالس بجانبه قائلاً:

- مهو كفاية والدي (الأستاذ علي أحمد).
- أهلاً وسهلًا حصلِّنا الشرف!، والست الوالدة كنا نحب نشوفها..

ثم استطرد متسائلاً:

- عندك شقة يا دكتور؟، وهل عندك دخل آخر؟
- والله والدتي عندها ظروف، أصلها عيانة شوية، أما عن الشقة فربنا يسهل (الأم في الحقيقة لم تجد فستانًا مناسبًا يصلح لهذه الزيارة!).

وما كان من الأستاذ الدكتور والد العروس إلا الصمت، وكان الموقف غاية في الإحراج، فيبدو أنه منع البنت من مقابلة العريس لعدم اقتناعه به (وإيه اللي غاصبنا على كدة: الحب؟ ملعون أبو الحب، والمثل بيقول قبل ما تناسب حاسب!).

وهم حسام ووالده بالانصراف دون أن ينطق والد العروس بكلمة، وقال حسام متسائلاً:

- ننتظر من سيادتك الرد؟

فقال الرجل بسخرية:

- إن شاء الله.. مع السلامة، شرفتم.

ولم يناما ليلتهما حسام وليلى، ولم تحضر هي إلى الكلية في اليوم التالي، فلم تعرف كيف تواجهه بعد هذا الموقف المؤسف، وتقابلا بعدها واعتذرت له بشدة عن عدم موافقة والدها.

فقال لها متسائلاً:

- يعني مفيش أمل؟

فلم ترد، وفرت الدموع من عينيها..

ولعن في سره كل من شجعه على اتخاذ هذه الخطوة والتقدم لليلى دون استعداد.

وقال له والده بنبرة ندم:

- أنا غلطان يا ابني إني روحت معاك، دول ناس مش بتوعنا.

وماذا بعد؟..

ولما كان قد اتخذ قرارًا بعدم الرد على تليفونات كريمة، بعد أن سمع عن أخر أخبارها، فقد تم الاتفاق على خطوبتها لابن عمها الطبيب الشاب، راح يفكر جديًا في الهجرة، أو الحصول

على عقد عمل بإحدى دول الخليج حتى يستعد، ثم يتقدم لبنات الناس..

وفوجئ بورود رسالة على الموبايل من كريمة هذا نصها:

- وحشتني جدًا جدًا، سمعت عن أخر أخبارك، وثق إنني سأظل أحبك إلى الأبد رغم كل شيء، الوداع يا من أحبه وأكرهه... المخلصة إلى الأبد كريمة..

سكتة قلبية!

كنا مجموعة من طلاب الجامعة في كليات مختلفة، استأجرنا شقة بإحدى ضواحي القاهرة، حيث إننا من الأقاليم..

ثم اكتشفنا وللأسف أن بيننا بعض المنحطِّين أخلاقيًا، حاولنا طردهم من الشقة، أو الإصلاح من شأنهم ولكن دون جدوى.

فقررنا أن نعزلهم في حجرة مستقلة إلى أن نتخلص منهم، فرحبوا بذلك ولم يعترضوا..

كانوا ثلاثة، وكنا نشترك معهم في الأكل والشرب، كما كان بيننا الغني والفقير، والذي مصروفه يكفيه بالكاد، مما يدعونا إلى مساعدته دون أن يدري.

وكان معنا طالبٌ بكلية التربية من محافظة الإسكندرية، وله أخت مطلقة وتقيم بمفردها بحي السيدة زينب.

وقد تزوجت وطُلقتْ ثلاث مرات لسوء سلوكها، وكان أخوها يزورها بين الحين والآخر، وأحيانًا يقضي معها يومين أو ثلاثة ثم يعود إلينا.

وأكثر من مرة يجد عندها رجلاً غريبًا، وتقول له إنه صديق من الجيران!

وكان البعض يزور أسرته كل أسبوع، والبعض الآخر كل شهر أو شهرين أو في المواسم.

وكانت مجموعتنا من الجادين والمجتهدين في الدراسة، والمجموعة الأخرى التي تم عزلها ليس لها هم إلا مقابلة الطالبات داخل الكلية وخارجها..

وذات مساء ونحن نحتفل بعيد ميلاد أحدنا الذي صرّح لنا بأنه (محضر) لنا مفاجأة، ولما سألناه عنها قال لنا:

- حالًا هاتعرفوا!، أمال تبقى مفاجأة إزاي؟

واشتركنا معًا في تناول التورتة والساندويتشات والمزة..

وبعد قليل كانت المفاجأة.. رن جرس البيت ودخلت!

ارتسمت علامات الدهشة والاستفهام على وجوهنا، وقبل أن نتكلم أسرع زميلنا العزيز المحتفى به، وصاحب المفاجأة باستقبالها ودعوتها للجلوس معنا.. و كانت على (سنجة عشرة!).

وقدمها لنا على أنها صديقته تحت اسم آخر غير اسمها الحقيقي، وعلى الفور تركت الشقة وخرجت وفضّلت المبيت عند أحد أقاربي.

وعرفت فيما بعد أنها قضت معهم ليلة حمراء واستمرت السهرة حتى منتصف الليل.

ولم يكن طالب كلية التربية موجودًا معنا في تلك الليلة..

وفي الشهر التالي كان هناك عيد ميلاد آخر، وتم إعداد اللازم بالمشاركة أيضًا، وكان صاحبنا إياه قد أحضر المفاجأة إياها!

وعندما أخبرنا بذلك تركتهم وخرجت، ولم أرجع إلا بعد منتصف الليل، وكنت أنوي مقاطعة صاحبنا صاحب المفاجآت والذي كنت مغشوشًا فيه..

وعند عودتي وجدت في انتظاري مفاجأة مؤسفة ومحزنة..

اتضح أنها أخت زميلنا طالب كلية التربية (بتاع إسكندرية)، وبمجرد وقوع نظره عليها سقط مغشيًا عليه، بعد أن لفظ عبارة (يا خبر أسود!!).

وحاولوا إفاقته بعد أن فرّت هاربة ولكن بلا جدوى..

وأسرع أحدنا وأحضر طبيبًا من أقرب عيادة لإسعافه، فكشف على قلبه وجس نبضه وقاس ضغطة ورفع ذراعه اليمنى فسقط، وكان لونه أصفر كلون الكركم، وأخيرًا مصمص الطبيب شفتيه ثم قال لهم:

- البقية في حياتكم.. سكتة قلبية!

ولم يكن هناك من يبكي أو يلطم الخدين حزنًا عليه.

وقررت ترك الشقة والبحث عن سكن آخر..

كافيتريا الأمل

بعد تردد، طلب مني اللقاء خارج الوزارة، بعيدًا عن العيون المتلصصة والهمس والقيل والقال!

ولأنه زميل محترم، وعلى قدر من الأخلاق، لم أتردد في تلبية طلبه..

تربطني به صداقة قديمة، فهو ليس زميلًا فحسب، أشعر بالارتياح والرضا في حضرته، وقد صرّح لي أكثر من مرة بأنه يُكِن لي نفس الشعور، بل أكثر..

وتم اللقاء في (كافيتريا الأمل) بالقرب من الوزارة، وكانت الدعوة على الغذاء، وغادرت الوزارة قبل موعد الانصراف بحوالي ربع ساعة، ثم لحق هو بي بعدها.

وجاء النادل بالأصناف التي طلبناها للغذاء، وكان غذاءً شهيًا، ولأول مرة في حياتي أتغدى خارج المنزل!

وأثناء الغذاء بدأ يحدثني بكل صراحة وجدية عن نفسه، تكلم في كل شيء ولم يلمح عن الارتباط من قريب أو من بعيد..

تكلم عن أسرته وعن آماله وعن رغبته في العمل بإحدى الدول العربية، وعن أنه ميسور الحال، وهو الابن الوحيد لأبويه، وأن والده يمتلك معرضًا لبيع السيارات، وبإمكانه تأثيث شقة بجميع الكماليات!

عندما أبديت وجهة نظري بعدم ضرورة السفر مادامت مادياته متيسرة، أجاب بأنه يفضل الاعتماد على نفسه وتحقيق كل آماله بعرق جبينه..

فسألته بصراحة أكثر:

- ولكن ثروة والدك كلها ليك، بعد عمر طويل، ربنا يديله الصحة.

فأجاب متسائلاً:

- وماله، زيادة الخير خيرين.

ولكني قلت بنبرة هجومية:

- أنا بختلف معاك، أعتقد إن وجودك جنب والدك وهو في السن ده بالدنيا!، أحسن ما تسافر بره وتتبهدل ويمكن متلاقيش شغل يتناسب مع خبراتك ومؤهلاتك، وبعدين السفر مشقة وده مجرد رأى أرجو مايضايقكش!

- أبدًا أبدًا، أنا سعيد جدًا إنك بتشاركيني الرأي عن مصيري ومستقبلي، وبعدين إنتي فتحتيلي مجالات للتفكير وإني أعيد نظر في موضوع السفر.

ونظرت في ساعتي، فوجدت العقربين قد تعانقا فوق الثالثة، فهممت بالاستئذان، وحاول توصيلي بسيارته، ولكنني أبيت بشدة وشكرته على حُسن الضيافة وانصرفت..

لكل إنسان صديق أمين يثق فيه ويبوح له بسره، وفي كثير من الأحيان يعمل بنصيحته، إذا قدم له النصح.

وهذا ما حدث معي، ففي اليوم التالي لغذاء كافيتريا الأمل، سردت لزميلتي (هدى) ما حدث مع (أسامة) بالأمس تفصيلاً..

في البدء هاجمتني بشدة لجرأتي وموافقتي على اللقاء خارج الوزارة من أول مرة وبهذه السهولة!

ولكني أقنعتها بأنني فعلت ذلك لمعرفة نواياه، حيث إنه منذ فترة ليس قصيرة (يلف ويدور) حولي!

فقالت وهي خبيرة بالحياة:

- الحقيقة إنه شاب محترم، معروف في الوزارة بحسن سيره وسلوكه، وعلى العموم المثل بيقول (خليك مع الكداب...).

وضحكت وأنا أسأل (هدى):

- قصدك إيه يا هدى؟، أوافق إني أقعد معاه تاني لو طلب؟

فأجابت (هدى) بذكاء:

- هو مش قالك إنك فتحتيله مجالات كتير للتفكير وإنه يعيد النظر في أمور كتير؟

- تفتكري أمور زي إيه؟

- زي الزواج مثلًا، والاستقرار بمصر، وبيني وبينك أنا شايفة إنه عريس (لقطة)!

ومر (أسامة) أمامهما فلمحهما ملتصقتين وتتهامسان، فابتسم بمكر وذكاء، فرمشت لي هدى لكي نكف عن الهمس..

ويبدو أنه سبقها للبوح بسره لزميله وصديقه الحميم (هاني) الذي لا يخفي عنه شيئًا، والذي لاحظته يجيء ويروح أمامنا ويبتسم!

وعاودنا الحديث، وقلت لـ(هدى):

- عريس (لقطة)؟! ، ده كان (حمدي) يتجنن!

- يا أختي بلاش (قرف) هو حمدي حيلته اللضى؟

- ده مالي إيديه مني قوي يا هدى ومعتبر الموضوع منتهى!

فقالت هدى بدهشة:

- منتهى؟.. موضوع إيه اللي منتهى؟، يا بت إنتي بتذاكري من ورايا ولا إيه؟!، يروح يشوف له واحدة من شكله، والنبي إن ما كان واحد على كيفي ماأنت شايفاه!!

وظهر حمدي من المكتب المجاور فوضع نهاية لثرثرتهما!

في إحدى الأمسيات، رن جرس التليفون في منزلنا، رفعت السماعة وجدت صوتًا هامسًا يقول:

- آنسة بثينة؟ كلمي من فضلك!

وكلمني أسامة بعد تلقف السماعة من أخته.

- أيوه يا بثينة أنا أسامة.

وتلفتُّ حولي لأطمئن لعدم وجود أحد..

- أسامة بتتكلم منين؟

- منين؟!، من البيت طبعًا، دي أختي (مها) معجبة بيكي جدًا.

- وهي كانت تعرفني يا كداب عشان تعجب بيّ؟!

- أصلي حكيتلها عنك كتير وعن ظُرْفك.
- متشكرة يا سيدي، عايز إيه تاني؟ طلباتك.
- مش عارف أقول لك إيه يا بثينة خايف تكسفيني.
- أكسفك على إيه لا سامح الله!
- عايز أشوفك دلوقتي حالاً!، أختي عايزة تشوفك.
- عايزة تشوفني؟ وتشوفني فين وليه إن شاء الله؟!
- أنا واثق إنك مش هاتكسفيني.
- يا أسامة أنت عارف كويس إننا ناس محافظين، وعمره ما حصل معايا اللي بيحصل ده!

وفجأة وجدت أمي خلفي فسألتني:

- بتكلمي مين يا بثينة؟

فارتبكت وأنهيت الحديث بسرعة قائلة:

- أبدًا دي هدى زميلتي يا ماما، مع السلامة يا هدى بكره نتقابل في المكتب، باي باي.

.....

في صباح اليوم التالي حكيت لهدى ما جاء بمكالمة أسامة لي بالأمس، فوثبت من جلستها قائلة:

- أوعي تطاوعيه، إنتي عبيطة!، هو هايتسلى عليك ولا إيه، قوليله اللي عايز يشوفني يتفضل عندنا في البيت!!
- في البيت مرة واحدة؟!
- طبعًا أمال أنت عايزة إيه ياختي!، على العموم إنت حرة، أنا خايفة أحسن يكون بيلعب بيكي.

فسرحت برهة وسألت نفسي: مش عارفة لو اتصل تاني أقول له إيه؟ أنا محتارة أعمل إيه؟

وفي المساء في نفس الموعد رن جرس التليفون، فسبقتني سعدية الشغالة ورفعت السماعة.. ألو ألو ولم يرد أحد فوضعت السماعة قائلة: ماحدش بيرد يا ستي!

وطبعًا فهمت أنه أسامة، وقلت الحمد لله إن سعدية سبقتني، (طيب وبعدين في البلوى دي؟!).

وتكرر الاتصال عدة مرات، وتعمدت عدم الرد..

وفي الوزارة لم يتمكن من الانفراد بي والحديث معي.

وذات يوم بعد الانصراف، وفي طريقي إلى محطة المترو وجدته

خلفي بسيارته وهو يضغط على (الكلاكس) عدة مرات فوقفت ووجدته يقول لي:

- اركبي.. اركبي أوصلك، عايزك ضروري.

ولكني رفضت بهزة من رأسي وتكشيرة، مما أثار حفيظته وخجله!

وعندما وصلت البيت اتصلت بهدى وأخبرتها بما حدث فردت عليّ بفرحة غامرة:

- جدعة يا بت!، أيوه كدة اتقلي عليه لما نشوف أخرتها معاه.

وما إن خلعت ملابس الخروج، حتى رن جرس التليفون فجريت بسرعة للرد عليه، وكانت أمي وسعديه مشغولتين بالمطبخ، وكان هو..

- ألو..

- أيوه يا بثينة، أنا زعلان جدًا.. يا ستي أنا قصدي شريف إنتي خايفة مني؟!

- يا أسامة أنا قولتلك قبل كدة الطريقة دي ماتنفعش معايا.

- أي طريقة؟ هو حصل مني حاجة غلط لا سامح الله؟

- لا غلط ولا صح، إحنا زملاء وبس.. مع السلامة!

وتجرأت وقفلت السكة!، لكني ندمت بعد ذلك على ما فعلت، كان المفروض أصبر عليه شوية، يمكن الراجل فعلًا قصده شريف.

ومرت أيام، وكل منا على حاله، وكانت هدى دائمًا تحرضني على عدم الاهتمام به والابتعاد عنه حتى يعرف قيمتي.

وظل هو الآخر في صمت، ولا يدخل مكتبي ولا يصبح علينا كالمعتاد.

وكانت هدى دائمًا تطلب مني ألا أسأل عنه.

وفي إحدى الأيام بعد عودتي من الوزارة رن جرس التليفون فرفعت السماعة لأرد عليه، وكان هذه المرة حمدي!:

- ألو... . أيوه يا حمدي؟

- آسف على الإزعاج.

- لا إزعاج ولا حاجة، خير؟

- خير طبعًا، مفيش حاجة.. أنا حبيت أطمئن عليك، أصلك اليومين دول ما بتسأليش في!

- يعني عايزني أعمل إيه؟

- ما أنت طبعًا مشغولة مع أسامة!!

- عيب يا حمدي الكلام ده!، مشغولة مع أسامة يعني إيه؟ مش تحاسب على كلامك!

فقال بارتباك:

- مش قصدي، والله ما أقصد حاجة، بس سمعت كدة إن فيه ود بينك وبينه وبتتقابلوا بره الشغل!

فقلت لنفسي قبل أن أرد بكلمة، وكتمت غيظي (آه لازم حد من الخباصين فتن له، أو أسامة نفسه من غيظه قاله حاجة).

ثم رديت عليه وأنا في منتهى التأثر والحزن على نفسي:

- طيب يا حمدي.. كتر خيرك.. مع السلامة.

وقفلت السكة ودخلت حجرتي، وجلست أبكي بحرقة، وامتنعت عن الأكل في هذا اليوم الذي اهتزت فيه كرامتي.

وفي اليوم التالي وبعد الانصراف من العمل، وفي طريقي إلى المترو كانت المفاجأة المذهلة!!

لمحت من بعيد سيارة أسامة، وتجلس بجانبه هدى!!

كدت أسقط من طولي على الأرض مغشيًا عليّ لولا أني

تماسكت ووقفت قليلًا على الرصيف حتى أستعيد توازني.

ثم توقفت السيارة أمام (كافتريا الأمل) ونزل منها أسامة وهدى وهما في منتهى السعادة ويداهما متشابكتان!

وداريت نفسي لكي لا يراني أحدهما حتى تجاوزت الكافتريا..

الحب فوق سطح البرج!

(١)

البرج مكون من أحد عشر طابقًا، ويُسمى «برج الصفوة» ويقطنه رجال أعمال، وأطباء، ولواءات جيش وشرطة، ومستشارون، وأصحاب معاشات.. إلخ.

الأسانسير (طالع نازل) من أول النهار حتى ساعة متأخرة من الليل.

تعرَّف عليها في الأسانسير حيث وجدا لوحدهما..

هو فلان ابن فلان، وهي فلانة بنت فلان، هو طالب بكلية الصيدلة، وهي طالبة بالثانوية العامة.. آية في الجمال والرقة وابتسامتها تشفي العليل!

لم يناما من شدة الفرحة في ليلة اللقاء..

وتكرر اللقاء كثيرًا داخل الأسانسير، ولكن في حضرة آخرين وقلما يوجدا لوحدهما.

وما الحل؟

يتفرس كل منهما في الآخر وكأنه يريد التهامه.. إنهما في ذروة الشباب والمراهقة!

البنت (فايرة)، والخدان تفاح أمريكاني!

الفتى لم يقل عنها كثيرًا من حيث الجمال والرقة، وكأنهما توأمان.

انبهر بها وانبهرت به من أول نظرة..

لماذا لم يلتقيا منذ زمن وهما في برج واحد؟!

ذات مرة لاحظهما عامل الأسانسير– الشاب الأسمر– وهما يتهامسان وكادا يلتصقان، فما كان منه إلا أن ابتسم كاشفًا عن أسنان بيضاء وسكت!

إنه يعرفهما جيدًا بحكم عمله، وأسرتاهما أصحاب فضل عليه..

وفي غفلة من عامل الأسانسير، أخذ كل منهما رقم محمول الآخر، واتفقا أن ترن عليه كلما سنحت ظروفها بذلك..

وذات صباح، كانت صدفة جميلة حيث استقلا المترو معًا، وجلسا جنبًا إلى جنب وتحدثا كثيرًا، وصرح كل منهما للآخر بإعجابه الشديد، وسرعان ما أتت محطتها فنزلت وهي تودعه، وجلست أخرى مكانها، ولكن شتان.. حتى نزل هو الآخر في

محطته.

ولم تشأ الظروف أن يتقابلا لأكثر من ثلاثة أيام، وكانا على نار، ودخل القلق قلبيهما العاشقين، ولم يكن أمامهما إلا المحمول.

رنت عليه، وسمع صوتها عبر التليفون لأول مرة..

كاد يطير من الفرحة لاتصالها والفرحة والشوق في صوتها الملائكي، فهذا دليل على الحب المتبادل.

فالحب أجمل عاطفة في الوجود، فالإنسان لا يستطيع الحياة بلا حب، وأيضًا الحيوان والنبات!

واتفقا على اللقاء في النادي، والتقيا في الموعد المحدد..

كانت في كامل أناقتها، وكان في كامل سعادته.

قضيا وقتًا ممتعًا، وتحدثا في كل شيء، واستشف من حديثها أنها على درجة عالية من الثقافة.

ولما سرقها الوقت، وبعد أن نظرت في ساعتها همت بالانصراف، واستقلا المترو معًا، وقُبيل الوصول إلى البرج افترقا، ثم تقابلا في الأسانسير مع وجود آخرين، فابتسم لهما عامل الأسانسير ابتسامته المعهودة.

(٢)

لأول مرة يصعد إلى سطح البرج، كان ذلك للاستكشاف والمعاينة فقط.

وجد أطباق وأسلاك «الدش»، كما وجد غرفة صغيرة بالطوب الأحمر تحتوى على بعض الكراسي والدكك الخشبية القديمة، بها نافذة صغيرة وليس لها باب!!

رأى الشوارع تعج بالمارة فوق الأرصفة وكأنهم دُمى، ورأى العمارات والسيارات وكأنها عِلب كبريت!

هز رأسه بعد المعاينة قائلًا لنفسه (المكان مناسب وغير مجروح).

بعدها طلب منها اللقاء فوق سطح البرج لكي يأخذا حريتهما!

في بادئ الأمر صعقت من هذا الطلب ورفضته بشدة، فحاول إقناعها بأن ذلك شيء عادي جدًا!

وبعد إلحاح شديد وافقت ولكن بشروط.

وذات يوم تم اللقاء فوق السطح في عز الظهيرة، الطقس شديد الحرارة، ورأت كل الدنيا من فوق ولا أحد يراها.

وكان لا بد من دخول الغرفة الصغيرة، وتبعته وهي تستطلع محتويات الغرفة، وبلا مقدمات مال عليها واختطف قُبلة من خدها التفاحي!

ارتبكت وتورّد وجهها أكثر، ويبدو أنها لم تتعرض لمثل هذا الموقف من قبل..

ولم ينبس بكلمة، ولما رأى علامات الغضب على وجهها، سارع بالاعتذار، فابتسمت بعد أن أفاقت من المفاجأة، طلبت منه عدم تكرار ذلك مستقبلًا.

ورغم ذلك تكرر اللقاء فوق السطح، ولكن في أوقات مختلفة، وحسب ما تسمح به الظروف والمزاج!

وأخذ الحب يمثّل جانبًا غير يسير من تفكيرهما ووقتهما.

إلى أن...

إلى أن ضبطهما عامل الأسانسير ذات مرة عند صعوده لسطح البرج لشيء ما!

وجدهما داخل الغرفة الصغيرة متلبسين باللمس والقُبلات الحارة.

وسرعان ما لفت وجهه صوب السلم دون أن يشعرا به، ولكن اتخذ قرارًا بينه وبين نفسه ألا يسكت على هذا الوضع بأي حال من الأحوال، فهو عنده بنات وأخوات، كما أنه رجل صعيدي من أسوان.

ولما وجدهما مرة أخرى في نفس الوضع وأكثر، تشنج واحمرت عيناه، وواجههما وهددهما بأنه سوف يبلغ والد كل منهما بما رآه تفصيلاً!

فراحا يتوسلان إليه وكادا يُقَبِّلان قدميه كي يعدل عن رأيه، فوافق بعد فترة صمت بإيماءة من رأسه عندما وجدهما يرتعدان من الخوف.

وافق لكن بشرط ألا يراهما معًا فوق السطح مرة أخرى ولا في الأسانسير!

ولم يغادر السطح إلا بعدهما.

وعندما اقترب موعد الامتحانات، كانا يلتقيان في النادي على فترات متباعدة، ويتعمدان الجلوس في ركن بعيدٍ عن الأنظار.

(٣)

انتهت امتحانات آخر العام، وظهرت النتائج، ونقل هو إلى الفرقة الثالثة بكلية الصيدلة، وحصلت هي على الثانوية العامة بمجموع أهَّلَها للقبول بنفس الكلية بناءً على رغبتها الأولى!

وأثناء العام الدراسي ورغم أنهما في كلية واحدة فإن لقاءهما كان نادرًا لاختلاف أوقات المحاضرات..

ولكن الحب بينهما كان يكبر وينمو، وكان دائمًا يطمئنها عند الاتصال بها بأنه سوف يتزوجها فور تخرجه، لأنه لا يستطيع الحياة بدونها!

وتم التعارف بين الأسرتين وتوطدت الصداقة بينهم.

والده مستشار ورئيس محكمة، وله أخان وأخت بالجامعات.

ووالدها وكيل أول وزارة بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.

ولها أخت أكبر منها بكلية الطب، وأخ أصغر بالثانوية العامة.

وبدأوا يتزاورون ويتقابلون في الأفراح والليالي الملاح.

أما عامل الأسانسير فقد اختفى من البرج تمامًا ولم يعد له أثر.

وذات مساء وبعد مكالمة تليفونية بينهما، وفي غياب الأب طلبت من والدتها أن تذهب إليه في شقته ليشرح لها بعض الدروس.

وبعد تردد وافقت الأم ولكن على مضض، وكانت تطمئن نفسها، حيث إن الولد على خلق وابن ناس (وجايز يحصل نصيب!)، حيث إن الأم دائمًا يذهب تفكيرها إلى هذا الهدف.

ورن جرس الباب، وفتح لها بنفسه، وقادها إلى حجرة مكتبه وأغلق الباب خلفه!

ولأول مرة تشعر بالخجل والخوف منه!

وبعد حوالي ساعة، قدَّم لها التحية، وتبادلا عبارات الحب والإعجاب وكأنهما فوق السطوح!

وتكررت زياراتها له بحجة شرح ما يصعب عليها من دروس، وكانت تبوح لأختها بكل ما كان يدور بينهما من حديث، فكانت تنصحها بألا تتمادى معه أكثر من ذلك، وأن تهتم بدروسها، ولا تهمل مستقبلها، ولا تخفي عنها شيئًا فهي أختها وتخاف عليها.

وذات مرة نزلت من عنده، وعندما فتحت لها أختها الباب لاحظت وجود منديل في يدها، وأثر دموع واحمرار في عينيها، وشعرها كان (منكوشًا).

سحبتها من يدها إلى حجرتها دون كلمة واحدة!

وسألتها وهي واثقة من صدقها:

- خير إن شاء الله؟.. إيه اللي حصل؟.. إحنا اتفقنا من الأول على الصراحة.

فأجابت وهي تنهنه وتكفكف دموعها بالمنديل:

- حضني بالقوة والباب مقفول علينا، ويظهر إن مكانش فيه حد في الشقة غيرنا!، وخلّصت نفسي منه بالعافية وجيت جري على هنا!

فانفعلت أختها واستشاطت غضبًا وهي تقول:

- تستاهلي أكتر من كدة!، أنا مش قولتلك أكتر من مرة حرَّصي على نفسك منه، أو بلاش منها الزيارات دي خالص.

فأجابت وهي مازالت تبكي:

- يعني كنت هاعمل إيه؟، أصرخ وأسمَّع الجيران، أنا ماكنتش متوقعة منه كدة أبدًا.

- خلاص يبقى دي أخر مرة، وماتروحيش عنده تاني! وإلا هاقول لماما على كل حاجة!

وعندما سمعت ذلك من أختها حزنت جدًا، رغم كل ما فعله معها، وما خفي كان أعظم!

وظهرت الفتاة عدة أيام في حزن وكآبة لا توصف!

وتسألها أمها عن سبب ذلك، بالإضافة إلى امتناعها عن الأكل، فلم تجد جوابًا!

ورفضت بشدة الذهاب إلى الطبيب، وكانت تتوسل إلى أختها إلا تبوح بسرها إلى أمها التي كانت تطلب في إلحاح معرفة ما جرى لأختها التي كانت كالوردة المفتحة!

ولكن الأخت كانت تساورها وساوس وشكوك أكثر مما عرفته من أختها.

الكاتب في سطور

- من مواليد محافظة الفيوم.
- عضو نادي الأدب بقصر ثقافة الفيوم.
- حاصل على بكالوريوس التجارة، شُعبة محاسبة من جامعة عين شمس.
- عمل في مجال الرقابة المالية والتفتيش المالي والإداري بالحكومة، والجمعيات والمؤسَّسات الأهلية، وكان يحافظ دائمًا على عمله المهني متوازيًا مع العمل الفكري والثقافي.
- اهتم بالقراءة، ونشأ وتربَّى على مؤلفات كبار الأدباء مثل نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، إحسان عبد القدوس، أنيس منصور، يوسف إدريس، يوسف السباعي وغيرهم، بالإضافة إلى بعض الكُتَّاب الأجانب.
- له العديد من المؤلفات في القصة والرواية، وسوف تُنشر تباعًا بإذن الله.
- شارك في كِتَابِ «طريق اللا عودة» الصادر عن دار «كاريزما للنشر والتوزيع».

المحتويات

الإهـداء..٥
ظـل رجـل..٧
سـوق البنـات..٢٠
فاقـد الذاكـرة.. يتذكـرا!..٣١
سـبب الرفـض..٤١
سـر الابتسـامة..٤٥
السر × سابع بير..٤٧
صبي مـن بلدنـا..٥٤
الشـيخة مسـعودة..٦١
عزبـة الشـحات..٧٣
حكايـات أبـو حبيـب..٩٣
مقطـوع مـن شـجرة!..٩٩
المعازيـم..١٠٥
الضيـف الثقيـل..١٠٩

السعد وعد.....١١٥
عروسة في المزاد.....١٣٤
فاقد الشيء.....١٤٢
يا من أحبه وأكرهه.....١٤٩
سكتة قلبية.....١٦٢
كافتيريا الأمل.....١٦٦
الحب فوق سطح البرج.....١٧٧
الكاتب في سطور.....١٨٧
الفهرس.....١٨٨